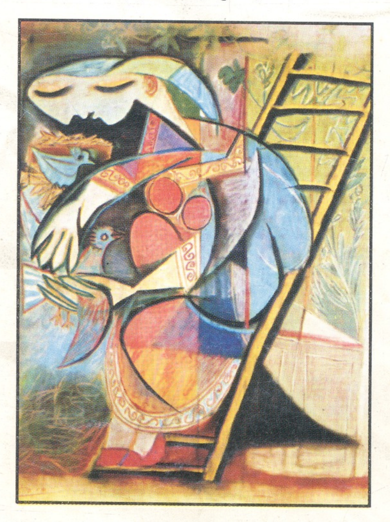
مختارات من روائع المسرح العالمى

(مسرحيات عالمية)



15

ترجمة وتقديم: د. نعيـم عطيـة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية





مختارات من روائع المسرح العالمى

(مسرحيات عالمية)

- الأقــــوى - أوجســـت ستـرندبـرج
- أغنيـة الوداع - أنطـون تشيـخــوف
- إســـكوريال - ميـشيل دى جيلدرود
- رجـل الأقـدار- جـورج برنارد شـــو

ترجمة وتقديم :
[illegible]عـــيم عطيـــة

● لوحة الغلاف : زوجة الفلاح

من أعمال بيكاسو (١٩٣٣)

● التصميم الأساسي للغلاف :

عمر جهان

آفاق عالمية : سلسلة تُعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى - رقم بريدى : ١١٥٦١

الإهـــداء

أهدى هذه الترجمات

إلى الكاتب المسرحى الكبير ألفريد فرج

مع عميق الود والتقدير.

ن.ع.

الأقـــوى

أوجست سترندبرج

تعتبر مسرحية «الأقوى» "The Stronger" التى كتبها الكاتب السويدى أوجست سترند برج "August Strindberg" (١٨٤٩ - ١٩١٢) فى عام ١٨٨٩ من أبدع المسرحيات ذات الشخصية المتحدثة الواحدة. وفيها أمكن لشخصية وحيدة أن تحقق بحديث سريع أثرا دراميا نفاذا.

وإذا خلت مسرحية «الأقوى» من سمات مسرح سترند برج التعبيرى "expressionism" الذى تجلى فى مسرحيتيه «الحلم» "Dream Play" و «سوناتا الأشباح» "Ghost- Sonata" فإن هذه المسرحية الصغيرة لا تخلو من خصائص مسرحه الطبيعى "naturalism" الذى تجلى فى مسرحياته «الأب» "The Father" و«الآنسة جولى» "Miss- Julie" و«عيد الفصح» "Easter" .

الشخصيات:

السيدة الأولى : ممثلة متزوجة.

السيدة الثانية : ممثلة غير متزوجة.

ساقية .

المنظـــــــــر : ركن فى مـقـهى فى اسـتـوكـهـولم ، مـائدتان
صغيرتان، وأريكة مخملية وبضعة كراسى.
السيدة الثانية جالسة وأمامها على المنضدة
قـدح نصف فـارغ تتـصـفح مـجلة مـصـورة
تسـتـبـدلهـا من وقت لآخـر بغـيـرها من على
المنضدة.
السيدة الأولى تدخل مرتدية قبعة ورداء شتويين
وحاملة سلة مزركشة.

السيدة الأولى : من أرى ؟ إمـيليـا ! كيف حـالك يا عـزيزتى ؟
مالى أراك جالسة هنا وحيدة عشية عيد الميلاد
؟ كعانس مسكينة!

السيدة الثانية : (ترفع نظرها عن مجلتها مليا ثم تطرق وتواصل
القراءة).

السـيدة الأولى : أو تعلمـين أن مـرآك يجـعلنى أشـعـر حـقـا
بالحسرة. وحيدة! وحيدة، فى مقهى عشية عيد

الميلاد بالذات ! إنى أشعر بالحسرة التى أحسست بها مرة فى باريس عندما شاهدت حفلة زفاف فى مطعم. كانت العروس تقرأ جريدة فكاهية. والعريس يلعب البلياردو مع شاهدى قرانه. يالى، قلت لنفسى: كيف ستمضى الأمور بينهما بمثل هذه البداية ! وما الذى ستصير إليه؟ كان هو يلعب البلياردو يوم عرسه! وهى، سوف تقولين إنها كانت تقرأ جريدة فكاهية، ولكن الأمر ليس سيان.

(تحضر ساقية قدحا من الشوكولاته للسيدة الأولى وتنصرف)

السيدة الأولى : أتعلمين، يا إميليا، الواقع أننى أعتقد الآن أنه كان من الأفضل لك أن تتشبثى به. لا تنسى أننى كنت أول من قلت لك أن تغفرى له. هل تذكرين؟ كنت قد أصبحت الآن زوجة وربة بيت. تذكرين كم كنت سعيدة فى عيد الميلاد الذى أمضيتيه مع أهل خطيبك فى الريف؟ كيف كنت تتحدثين بحرارة عن السعادة المنزلية ؟ لقد

كنت بحق متشوقة إلى ترك المسرح. نعم ياإميليا، يا عزيزتى ، البيت أفضل من المسرح. وأما عن الأولاد فليس باستطاعتك أن تتصورى شيئا عنهم.

(السيدة الثانية تعلوها مسحة من الازدراء. السيدة الأولى ترشف بضع رشفات من الشيكولاته. ثم تفتح حقيبتها وتخرج منها بعض هدايا عيد الميلاد).

السيدة الأولى : والآن، انظرى ماذا اشتريت لصغارى؟ (تخرج دمية) انظرى إلى هذه . إنها لليزا. هل ترين كيف تغلق هذه العروسة عينيها وتدير رأسها؟ أليست جميلة؟ وهذا مسدس لعبة لمايا (تعمر المسدس وتطلقه على السيدة الثانية التى تبدو مرتعبة).

السيدة الأولى : هل ذعرت؟ هل اعتقدت أننى سأطلق عليك النار؟ حقا، لا أعتقد أنك ظننت ذلك. والآن، لو أنك أنت التى كنت ستطلقين على الرصاص لما دعا ذلك إلى العجب، لأننى فى النهاية

اعترضت طريقك. وأعلم أنك لا تغفرين لى ذلك، رغم أننى كنت بريئة تماما. ولازلت تظنين أننى سعيت لإخراجك من فرقة المسرح الكبير. ولكننى لم أفعل. إننى لم أفعل ذلك مهما اعتقدت أننى فعلت. لا جدوى من الكلام. إنك ستمضين فى ظنك أننى... (تخرج خفين مطرزين) وهذه لرجلى العجوز. وقد طرزت عليها الزنابق بنفسى. إننى أكره فى الواقع هذه الزهور ولكنه يريدها على كل شئ.

السيدة الثانية : (ترفع بصرها إليها وقد بدا التطلع على وجهها).

السيدة الأولى : (تضع يدا فى كل من الخفين) انظرى كم هما صغيرتان قدما بوب، أليس كذلك؟ وجدير بك أن تشاهدى الطريقة الساحرة التى يسير بها إنك لم ترينه منتعلا شبشبا. هل رأيتيه؟

السيدة الثانية : (تضحك).

السيدة الأولى : انظرى، سأريك. (تُسيِّر الخفين على المائدة. وتضحك السيدة الثانية مرة أخرى).

السيدة الأولى : ولكنه عندما يغضب، انظرى، إنه يدق قدمه هكذا. ويصيح قائلا « هؤلاء الفتيات اللعينات لا يستطعن أن يتعلمن كيف يصنعن القهوة! تبا لهن» أو «ذلك الغبى الأبله لم يحسن توضيب المصباح» ثم يهب تيار بارد من تحت الباب وتسرى البرودة فى قدميه فيصيح «ياللجحيم، إننا نتجمد من البرد والأغبياء الملاعين لا يمكنهم أبدا أن يبقوا المدفأة موقدة» (تحك نعل أحد الخفين بالآخر).

(تنفجر السيدة الثانية فى عاصفة من الضحك)

السيدة الأولى : ثم عندما يعود إلى البيت يأخذ فى البحث عن خفيه اللذين تكون مارى قد دفعت بهما تحت المكتب... حسنا، قد لا يكون من المناسب أن تتندر الزوجة على زوجها على هذا النحو، إنه ظريف على أى حال، وزوج طيب وحبّوب. كان يجب أن يكون لك زوج مثله، يا إميليا. ما الذى يضحكك؟ ماذا فى الأمر؟ هيه؟ انظرى، إنى أعلم أنه مخلص لى. نعم إنى أعلم ذلك. لقد

أخبرنى بنفسه - ما الذى يجعلك تضحكين؟
عندما كنت فى رحلة مع الفرقة فى النرويج
أقبلت عليه تلك القبيحة فردريكا وحاولت أن
تغريه. هل بوسعك أن تتخيلى شيئا أكثر
بشاعة؟ (لحظة صمت) إنى مسرورة أن بوب
أخبرنى بالأمر بنفسه بدلا من تركه يصل إلى
سمعى من أقاويل الناس . (صمت) والحقيقة
أن فردريكا لم تكن الأولى أو الأخيرة. لا أدرى
لماذا، ولكن جميع النساء فى الفرقة يبدون
مفتونات بزوجى. لعل مركزه يغرى به
المشتغلات بالمسرح. ولعلك واحدة ممن جرين
وراءه؟ إنى لا أثق فيك كثيرا، ولكننى أعلم أنه
لم ينجذب إليك أبدا. وقد بديت دوما وكأنك
حانقة عليه. أو هكذا أحسست أنا (صمت).
(تنظر كل منهما إلى الأخرى فى ترقب وحذر).

السيدة الأولى : أرجوك الحضور لقضاء عيد الميلاد معنا الليلة،
يا إميليا - فقط لكى تثبتى أنك لست غاضبة
منا، أو على أى حال منى. إننى لا أدرى لماذا،

ولكن يبدو الأمر على الأخص غير سار ألا نكون صديقتين. ألعلّه لأنى اعترضت سبيلك فى ذلك الحين؟. (ببطء) أو - لا أدرى - حقا. لا أدرى إطلاقا لماذا ...

(السيدة الثانية تتطلع إلى السيدة الأولى مستغربة).

السيدة الأولى : (ممعنة فى التفكير) لقد كان الأمر جد غريب فى بداية تعارفنا أصارحك القول إننى عندما التقينا أول مرة، كنت خائفة منك. جد خائفة لدرجة أننى لم أكن أجسر على أن أتركك تغيبين عن نظرى. ورتبت جميع غدواتى وروحاتى لأكون بمقربة منك. لم أجرؤ أن أكون عدوتك، وهكذا صرت صديقتك. ولكنك عندما كنت تحضرين إلى بيتنا كنت لا أشعر بالارتياح لأننى كنت لا أرى زوجى يرتاح إليك. وقد أربكنى ذلك، تماما مثل حالتى عندما لا يناسبنى رداء ما. لقد بذلت كل وسعى لأجعله لطيفا معك ولكن بلا جدوى، إلى أن مضيت

وعقدت خطوبتك. فعندئذ توطدت بينكما صداقة
جد قوية لدرجة أنكما ما كنتما تجسران على
الإبانة عن مشاعركما إلا وأنتما بمأمن من
الأنظار.. وبعد، دعينى أرى، كيف كان الحال
فى النهاية لم أصب بالغيرة - وهذا غريب -
وإنى لأذكر يوم العماد عندما كنت الأشبينة
قلت له أن يقبلك. ولقد فعل، وبان عليك
الاضطراب... والواقع أننى لم ألحظ ذلك فى
حينه... بل ولم أشغل بالى به بعد ذلك... إنى لم
آبه به قط. إلى الآن! (تنهض فجأة) لم لا تقولى
شيئا؟ إنك لم تنبسى بكلمة طوال هذا الوقت.
بل تركتنى أسترسل فى الكلام. وجلست أنت
فى مكانك منتزعة بعينيك منى كل تلك الأفكار.
لقد احتوتها أعماقى كما تحتوى الشرنقة خيوط
الحرير - أفكار ... أهى أفكار خاطئة؟ دعينى
أدقق النظر. لماذا فسخت خطوبتك؟ لماذا
انقطعت عن زيارتنا منذ ذلك الحين ؟ لماذا لا
تودين الحضور إلينا الليلة؟

السيدة الثانية : (تأتى بحركة، كما لو كانت ستهم بالكلام).

السيدة الأولى : لا. إنك لست بحاجة إلى أن تقولى شيئا، لأنى تبينت كل شىء الآن. لقد وضح السبب فى ذاك وذاك وذاك. أجل لقد كان هذا هو السبب فيما كان. أجل، أجل، لقد اكتملت الجزئيات أمامى الآن. هذا هو الأمر. أنا لن أجلس معك على مائدة واحدة. (ترفع حاجياتها إلى المائدة الأخرى) هذا هو السبب فى أنه كان يملى على أن أطرز له الزنابق التى أعافها على خفيه - لأنك كنت تحبينها. (تلقى بالخفين على الأرض) هذا هو السبب فى أننا كنا مضطرين إلى قضاء الصيف على ضفاف البحيرة - لأنك لم تكونى تطيقين شاطىء البحر. هذا هو السبب فى أنه كان على ابنى أن يسمى إيزاقيل - لأنه كان اسم أبيك. لقد كان هذا هو السبب فى أنه كان على أن أرتدى ما تفضلينه من ألوان، وأقرأ ما تفضلينه من كتب. وآكل ما تفضلينه من أصناف الطعام، وأشرب ما تفضلينه من

مشروبات، كالشيكولاته مثلا. لقد كان هذا - آه يا إلهى. من الفظيع التفكير فى هذه الأمور فظيع! كل شىء، كل شىء وافد علىّ منك - حتى عواطفك. لقد نخرت فىّ روحك كما تنخر الدودة فى تفاحة. ونهشت ونهشت حتى لم تبق إلا كومة من القشر وبقية ضئيلة سوداء عفنة. لقد أردت الفرار منك ولكننى لم أقو. لقد كنت هناك كأفعى، عيناك السوداوان تسحرانى وتجذبانى إليهما عندما أهم ببسط جناحى. إنى ملقاة فى اللجة موثوقة القدمين وكلما جاهدت ذراعاى للصعود زاد غوصى إلى أسفل - إلى أسفل، إلى أسفل. إلى أن بلغت القاع حيث كنت قابعة فى انتظارى كأخطبوط ضخم يعتصرنى بقبضاته - والآن ها أنا ذا. آه، كم أمقتك! أمقتك! أمقتك! وأنت ماضية فى الجلوس هناك صامتة، هادئة، غير مكترثة، غير آبهة بما إذا كان القمر فى اقتباله أو فى اكتماله. بما إذا كنا فى عيد الميلاد أو فى رأس

السنة. بما إذا كـان بقـيـة الناس سـعـداء أو تعسـاء. إنك لا تعـرفين كيف تكرهين أو كـيف تحـبـين. إنك تجلسين هـنـاك بلا حـراك، كـقطة قـابعـة عند جـحـر فـأر. إنك لا تستطيـعين أن تنتـزعى فـريسـتك ولا أن تطاردينـهـا بل فـقط تنتظرينهـا. تجلســين هـنـا فـى ركنك - أو عند مـصـيـدتك إن شئت القـول - تقـرأين الجـرائد لترقبى ما إذا كان قد لحق الخراب بأحد أو حل الشقـاء به أو فقـد عمله بالفـرقة. إنك تجلسين هنا ممسكة بضـحـاياك وازنة فـرصك، كـالربان الذى يتأمل حطام السفينة (صمت).

مـسكينة يا إمـيليـا؟ لو تعلمـين مبلـغ رثائى لك. إنى أعلـم أنك تعـسـة، تعـسـة كـمـخلوق جـريح. وشريرة لأنك جريحة. لا يمكن أن أكون غاضبة منك. كـان بودى أن أكـون ولكن أنت الأضـعف فى النهاية - وأما عن علاقتك ببوب فإن ذلك لا يقلقنى أبداً . مـا أهميتـهـا بالنسبة لى ؟ وسواء أكنت أنت أو غـيـرك قـد لقنتنـى أن أشـرب

الشيكولاته. فما وجه الخلاف ؟ (ترشف رشفة بخيلاء) إن شراب الشيكولاته مفيد للصحة على أى حال. وإذا كنت قد أخذت عنك كيف ألبس، فهذا أحسن – لقد أكسبنى ذلك تأثيرا أقوى على زوجى، وفقدت أنت ما كسبته أنا . أجل، لو حكمنا على الأمر من عدة دلائل فإنى أعتقد أنك الخاسرة. لا شك أنك قصدت أن أذهب أنا، كما فعلت أنت مرة وندمت عليه بعد ذلك. ولكننى لن أفعل ذلك، كونى متأكدة، لا يجب أن أكون ضيقة العقل. ولم لا يتوق الغير إلى أن يتحصل على ما لدىّ ؟ (صمت) ولعل وضع كل شىء فى هذه اللحظة موضع الاعتبار، يا عزيزتى، ينبىء بأنى أنا الأقوى. إنك لم تنتزعى منى شيئا قط . بل إنك أعلنت الاستسلام أمامى، ثم كاللص فى جنح الليل تسللت هاربة، عندما استيقظت، وتحصلت أنا على ما فقدته أنت. لماذا ، إذن، يمسى ما تلمسينه عقيما ولا قيمة له ؟ إنك لم تفلحى فى الاحتفاظ بحب

رجل – رغم كل عواطفك وزنابقك – أما أنا فقد
أفلحت. إنك لم تنجحى فى أن تتعلمى فن
الحياة من كتبك – أما أنا فقد تعلمته . إنك لم
تحملى أى صغير مثل إيزاقيل، رغم أنه كان
اسم أبيك (صمت). وما السبب فى صمتك،
صمتك الدائم، أينما كنت؟ أجل لقد كنت أتوهم
أن ذلك عن قوة، ولكن كان مرده فى الواقع إلى
أنه لم يكن لديك ما تقولينه، ولم تكونى قادرة
على التفكير فى شىء (تنهض وتلتقط الخفين)
والآن أنا ماضية إلى البيت. آخذة معى زنابقك
– زهورك المفضلة. إنك لم تقدرى أن تتعلمى
من الآخرين. أنك لم تكونى قادرة على الانثناء،
ولذلك فقد انكسرت، كعود يابس. أما أنا فلا.
شكرا، يا إميليا، على كل دروسك النافعة.
أشكرك على تلقينك زوجى كيف يحب. إنى
ذاهبة الآن إلى البيت لأوليه حبى (تخرج).

أغنية الوداع

أنطون تشيخوف

Anton Chekov

Swan Song

A dramatic Study

English version by Theodore Hoffman

«أغنية الوداع»

دراسة درامية لأنطون تشيخوف

نقلها إلى الإنجليزية تيودور هوفمان

مقدمة

«أغنية الوداع دراسة درامية لأنطون تشيخوف كتبها ما بين عامى ١٨٨٧ و١٨٨٨ وتمثل لحظة فى شيخوخة ممثل أمضته الوحدة والنسيان، فانطلق بذاكرته إلى ماضى حياته. فانبسطت أمامه أمانى الشباب، وتصفيق الجماهير، وصدمة الحب، وجحود المجتمع الذى يزعزع إيمان الفنان بقيمته.. ثم كأس الحياة الذى نضب معينه».

والشخصية الثانية فى المسرحية هى شخصية الملقن العجوز الذى ليس له مأوى غير غرفة الملابس ينام فيها الليل خفية عن مدير المسرح. وهذه الشخصية الثانية تكمل الشخصية الأولى وتضيف إلى المسرحية بعدا دراميا إضافيا. فالملقن يجارى الممثل العجوز المسترسل فى ذكرياته النشوانة ويصدق بلا تردد على كل ما يقوله عن روعة تمثيله وافتتان الجماهير به فيما مضى ثم إذا به قبيل النهاية يكشف لنا عن سبب مجاراته تلك

عندما يقول: «لقد أبدعت يا ڤاسيلى ڤاسيلڤيتش إبداعا حقيقيا! لذلك أرجو ألا تخذلنى وتفضح سرى».

إن أنطون تشيخوف فى الواقع صاحب محاولة رائعة فى البحث عن نوع من الدراما تفقد فيه العناصر التراچيدية والعناصر الكوميدية ذاتياتها المفرزة للوصول إلى وحدة جديدة يلتحم فيها هذان الصنفان من العناصر. ويرى الناقد المسرحى إريك بينتلى أن تراجيديات تشيخوف لا تخلو من النوازع الكوميدية، كما أن أخف كوميدياته فيها شىء من الرزانة والشجن الذى فى تراچيدياته الكبيرة.

الشخصيات :

فاسيلى فاسيليفيتش سفيتلو فيدوف :

ممثل عجوز فى الثامنة والستين من عمره.

نيكيتا إيفانيفتش :

ملقن عجوز

المنظـــــــــر : (خشبة مسرح ريفى من مسارح الدرجة الثانية.
المسـرح خـال، وقـد تناثرت فـيـه بقـايا الحـفلة
المسائية المنقضية، وعدد ومـهمات مسرحـيـة
مـتنوعـة. فى وسط المسـرح كـرسـى بلا مـسند
للظهر ملقى على الأرض. الوقت مساء، والظلمة
تسـود المكان. يدخل سـڤـيتلوڤـيدوڤ من جـانب
المسـرح فـى مـلابس كـالخـاس كـاهـن طروادة
الخـارج عن عقيـدته وقد أمسك قنديلا مـوقدا.
يضحك).

سڤيتلوڤيدوڤ : حسنا ، مـاذا تعرف عن ذلك؟ يالـها من زلة !
أروح فى النوم فى غرفة الثياب ! انتهى العرض
والمســرح خـــاو، وهـا أنا ذا أتثـــاءب. يالى من
مـهرج ! يالى من مـهرج ! لست إلا كلبا عـجوزا
كئيبا. ولا شىء غير ذلك. لابد أننى جد متهدم
حتـى يغلبنى النعاس وأنا فى مـقعدى. يا لك من
عبقرى، أيها الولد العجوز - عبقرى منذ الولادة
ينتـهى إلى لا شىء . (يصـيح) يا يجـوريكا ! يا

يجوريكا! أين أنت أيها الشيطان ؟ لابد أن ذلك الصعلوك نائم فى مكان ما . فلتخرقك زبانية الجحيم حيا ، وتمطرك بنيرانها ساحرة عجوز، أيها العاق ! يا يجوريكا.

(يكف عن الصياح، ويقيم الكرسى من كبوته، ويجلس عليه، ويضع القنديل على الأرض).

ما من صوت – من من إجابة إلا رجع الصدى المتعثر. واليوم فحسب أعطيته ثلاث روبلات لكى يتوفر على العناية بى. والليلة لا يمكنك العثور عليه حتى لو أطلقت فى أعقابه كلاب الحراسة. وأظن أن المسرح قد أغلق أبوابه أيضا ، ياللأوغاد ! (يهز رأسه) أوف! لقد لعبت الخمر برأسى! ماذا تعرف عن ذلك؟ لقد أكرمنى ذلك المعجب فعبرت له عن امتنانى بأن صببت طنا من النبيذ والجعة على حسابه فى أحشائى.. نبيذ وجعة.. آه ! أحس بالرجفة تسرى فى جسدى من رأسى إلى أخمص قدمى. وكما لو كان قد عسكر فى حلقى فيلق من الجنود..

حقا، إننى ناقم على نفسى ! (برهة صمت) غبى، هذا أنا، غبى! المهرج العجوز يغوص كالبطة فى لجة من الخمر. وعندما تسأله «لماذا فعلتها؟ » فإنه لا يعرف السبب. إنه فعلها وحسب.. كالمعتاد.. أووه ! يا إلهى، إن ظهرى يؤلمنى، والقشعريرة قد انتابتنى. وقلبى بارد كقبو مظلم. حسنا، إذا لم تكن صحتك موضع اعتبارك، فلا أقل من أن تشفق على شيخوختك، يا باليانشى، ياولدى (لحظة صمت) الشيخوخة.. يمكنك أن تتقن التظاهر، فتبدو منفرج الأسارير وتمضى فى التهريج من أجلهم، ولكنك فى الحقيقة قد استنفدت حياتك يا ولدى العجوز. ولا محل لأن تغالط فى ذلك ! ثمانية وستون عاما راحت إلى الجحيم ! ولم تربح من الصفقة مليما واحداً! لقد تجرعت كأسك حتى الثمالة. ولم تبق سوى بضع قطرات رسبت فى القاع وعفا عليها الزمن. تلك هى القصة باختصار. إن الدور الوحيد الذى

تصلح له منذ الآن - أردت أم لم ترد - هو دور جـثـة رجل مـيت. إن إله الحـصـاد الكالح بالانتظار فى إحـدى جنبـات المسـرح. (لحظة صـمت. ويمـعن النظر أمـامـه فى مـقـاعـد المتفرجين) إننى اعـتليت، كما تعرف، خشبة المسرح خمسة وأربعين عاما، ولكننى أعتقد أن هذه هى المرة الأولى التى أجدنى فيها وحيدا على المسـرح فى قلب الليل المظلم. المرة الأولى، مـاذا تعـرف عن ذلك؟ تبـدو الأشـيـاء من حـولى كالأشباح (يذهب إلى حافة خشبة المسرح) لا يمكننى أن أتبين شـيئا فى الظلام.. حسنا، ها هـى كـوة الملقن.. ويمكننى أن أرى المقـصـورة الأولى الآن.. ومنصـة قائد الأوركسـترا أما ما عدا ذلك فـهـو ظلام دامس.. حـفـرة سـوداء لا قرار لها، مثل قبر قبع فيه الموت ذاته متربصا.. برد، الجو بارد. والتيار يهب من هناك كما لو كان يهب من فوهة مدخنة. ياله من مكان لمشهد تمثيلى! إن هذه الدار تسكنها الأشـبـاح، إذا

كان ثمة دور من هذا القبيل! إن الرعشة تسرى فى عظامى ! (يصيح فجأة مناديا) يجوريكا! يجوريكا! أين أنت بحق الجحيم، أنت أيها الشيطان ! يا إلهى ، لم أتكلم عن الجحيم والشيطان فى هذا المكان؟ أنتبه لما تقول ! كف عن الشراب ! لقد هرمت وحان الوقت لأن تموت ! إن الناس فى سن الثامنة والستين يقضون وقتهم فى الكنائس يهيئون أنفسهم للقاء ربهم! وأنت ؟ أنت تمضى فى إطلاق اللعنات، وقد تهدم وجهك من الإفراط فى الخمر، وتتجول فى زى مهرج من مهرجى الإغريق. ألا يبعث منظرك هذا على السقم؟ الأفضل أن تذهب وترتدى ثيابا لائقة. ما زال أمامك بعض الوقت. ولو بقيت مغروزا فى مكانك هذا طوال الليل، فقد تموت من الخوف.

(يتجه إلى جانب من المسرح)، بينما يدخل إلى المكان نيكيتا إيڤانيڤتش فى إزار أبيض طويل. فيطلق لمرآه سڤيتلوڤيدوڤ صرخة فزع ويتراجع

إلى الوراء).

من أنت ؟ ماذا تريد ؟ عما تبحث ؟

(وقد اختلط فى نبرات صوته الغضب والتوسل)

من أنت؟

نيكيتـــــا : إنه ليس إلا أنا .

سفيتلوفيدوف : (مازال خائفا) ولكن من أنت؟

نيكيـتــــا : (يقـتـرب منه فى بطء) إنه أنا، يا ڤـاسـيلى ڤاسيليڤتش، الملقن، نيكيتا إيڤانيڤتش، إنه أنا..

سفيتلوفيدوف : (يخر يائسا على المقعد، وهو يتنفس بصعوبة، وجسده كله يرتعد) يا إلهى، من هذا؟ أوه، إنه أنت، أنت يانيكيتوشكا؟ ماذا تفعل هنا ؟

نيكيـتــــا : إنى أنام فى غـرف الملابس، ولكن أرجـوك، أسـتـحلفك بالله، لا تـخـبـر المدير. ليس لى أى مأوى غير ذلك.

سفيتلوفيدوف : إذن، فهو أنت، يا نيكيتوشكا.... يا إلهى ! يا إلهى ! اسـمع لقـد صـفق لى الجـمـهـور ست عـشـرة مـرة الليلة. وتلقـيت ثلاث باقـات من الزهور، كما تلقيت أشـياء أخرى الله أعلم ما

هى. لقد أعجب الجمهور بى إعجابا كبيرا! ثم لم يكلف أحدهم بعد ذلك نفسه عناء إيقاظ عجوز مخمور وحمله إلى البيت... لقد شخت، يا نيكيتوشكا، لقد شخت! إن عمرى ثمانية وستون عاما! وأنا مريض مثل كلب شريد، وأكاد أسلم روحى! (يتكىء إلى نيكيتا، ويكاد يبكى) لا تتركنى، يانيكيتوشكا، أنا عجوز بائس، وعلى شفا الموت... هذا مخيف، مخيف...

نيكيتا : (باحترام وعطف) أزف الوقت الذى تعود فيه إلى البيت ، يا ڤاسيلى ڤاسيليڤتش.

سفيتلوفيدوف : وما الداعى إلى ذلك؟ ليس لى بيت ! هاه ، أى بيت !

نيكيتا : تعنى أنك لا تذكر أين تقطن ؟

سفيتلوفيدوف : بالطبع أذكر، ولكن من ذا الذى يريد أن يذهب إلى هناك؟ أنا لا أريد ! انظر، يانيكيتوشكا إنى وحيد فى الدنيا، لا عائلة لى، ولا زوجة، ولا أولاد، ولا أحد ! أنا وحيد ، كالريح فى الخلاء.

من ذا الذى سيصلى من أجلى عندما أموت ؟
لا أحد ! ودعنى أقول لك شيئا : إن وحدتى
تخيفنى. لا أحد يفكر فىّ ، أو يمنحنى قليلا من
الحنان، أو يضعنى فى سريرى عندما تلعب
الخمر برأسى. من ذا الذى أنتسب إليه؟ من ذا
الذى بحاجة إلىّ؟ من ذا الذى يعيرنى اكتراثه؟
لا أحد. أجل، يا نيكيتوشكا، لا أحد !

نيكيتـــــــا : (من خلال دموعه) إن الجمهور يحبك، يا
فاسيلى فاسيليڤيتش.

سڤيتلوڤيدوف : الجمهور؟ الجمهور فى بيته، ينام الآن فى
فراشه ولا يطرق ذلك المهرج العجوز حتى
أحلامه. كلا، لا أحد بحاجة إلىّ، لا أحد يكترث
بى، ليس لى زوجة ، وليس لى أولاد.

نيكيتـــــــا : حسنا، ولم تحزن لذلك كثيرا ؟

سڤيتلوڤيدوف : لأننى إنسان! إنسان حى! ولا تسرى فى عروقى
مياه بل دماء ! ودماء أصيلة أيضا ! أنا رجل
محترم، يا نيكيتوشكا. أنحدر من عائلة طيبة.
وقبل أن أتردى فى هذه الحفرة السوداء كنت

فى الجـيش، ضـابطا فـى سـلاح المدفـعـيـة. ويالبـهـاء طلعـتى فى ذلك الحـين ! كنت شـابا وسيما شجاعا مفعما بالحيوية. بالله ماذا حدث لذلك الشاب؟ حسنا. ثم بعد ذلك أضحيت ممثلا مـبـدعـا، ألم أكن فى أيامى الخـوالى ممثـلا مبدعا، يا نيكيتوشكا ؟ بالله أين راح ذلك ؟ ما الذى حـدث لحيـاتى تلك ؟ أين ذهب كل شىء ؟ (ينهض ويتكىء على نيكيـتـوشكا) أتعلم، لقـد استـرجـعت الماضى منذ وهلة قـصـيـرة ورأيت حـيـاتى كلـهـا قـد انبـسطت أمـامى. إن هذه الحـفـرة السـوداء اللعـينة قد ابتلعت خـمـسـة وأربعين عاما من حياتى يا نيكيتوشكا. ويالها من حياة ! بمقدورى أن أحملق فى ذلك الظلام المخيم هـناك، وأرى، كل دقـيـقـة من دقـائقـهـا، واضـحـة بالوضـوح الذى أرى به وجـهك. أرى شـبـابا ! ومـثـلا عليـا، وإيمانا، وعـزمـا، ومـتـعـا، ونساء وأية نسـاء، يا نيكيتوشكا !

نيكيـتـــــــــا : ألم يـحن الوقت لأن تـهـجـع إلى فـراشك، يا

ڤاسيلى ڤاسيليڤتش ؟

سڤيتلوڤيدوڤ : عندما كنت ممثلا شابا، أتفجر حماسا، أغرمت بي امرأة من أجل تمثيلى فحسب. هل تصدق هذا ؟ فتاة من فتيات المجتمع، أنيقة رشيقة كشجرة ممشوقة، تفيض صبا وبراءة، ولكنها مع كل هذا كانت جذوة متقدة كشمس الصيف فى الأصيل. كانت، يانيكيتوشكا، مخلوقا فاتنا! عينان صافيتا الزرقة، إذا خطرتا ببالك فى ليلة مظلمة بدا لك الليل نهارا! وابتسامة شيقة، وشعر متماوج الخصلات. دعنى أصف لك شعرها. أتعتقد أن أمواج المحيط قوية غزيرة ؟ حسنا، لو كنت شابا وتأملت عيناك تموجات شعرها لأدركت كيف يمكن أن تتحطم الصخور، وكتل الجليد الطافية، بل وحتى الجبال الشامخة. ولعمرى لو لم تتمن أن تنثال تلك الأمواج عليك وتغرقك فى لجتها! أجل، يا سيدى ! ... يمكننى أن أذكر ذلك اليوم الذى وقفت فيه كما أقف أمامك الآن، وكانت هى

أجمل فى ذلك اليوم من أى يوم مضى. سأحمل نظرتها التى نظرت بها إلىّ إلى قبرى. كان ذلك هو الحب. لقد رأتنى أمثل هامليت، وكان فى هذا كل الكفاية. لم يكن على أن أغازلها أو أن أصب فى أذنيها الأكاذيب.. إنها أحبتنى وحسب. واذا بى، أنا الممثل الشاب، الممتلىء بالغبطة والأمانى العذاب، والإيمان الفتى بقيمة المسرح، أجثو على ركبتى وأرجوها أن تتزوجنى (يغوص صوته) أما هى ؟ فقد قالت لى : «اهجر المسرح!» اهجر المسرح! ماذا تعرف أنت ؟ قد تكون قد أغرمت بممثل إلى درجة الجنون، ولكن أن أتزوج ممثلا ؟ كلا، يا سيدى! أبدا !» وأذكر تلك الليلة التى كنت أمثل فيها.... حسنا، ملهاة سخيفة، وبينما كنت أمضى فى ذلك الدور الأحمق تفتحت عيناى. لأول مرة فى حياتى تبينت أن أى شخص يعتقد أن التمثيل أحد الفنون المقدسة هو جحش كبير ! وفجأة رأيت أن كل نجاحى أكاذيب

وسخافات، وأننى كنت عبدا، مضحك بلاط،
مأفونا تافها، أبقى على قيد الحياة ليرفه عن
الناس بعد عناء العمل! وباختصار - لست إلا
مهرجا ! لقد نفذت فى ذلك اليوم إلى حقيقة
«الجمهور»! ومنذ ذلك الحين لم أعد أؤمن
بالتصفيق، أو بما تكتبه المجلات، أو بالجوائز،
أو «بالمسرح!» من المؤكد أنهم سيلهبون أكفهم
بالتصفيق من أجلى. سيتهافتون على شراء
صورتى، ولكنك عندما تنزل إليهم فأنت بالنسبة
لهم غريب، ملطخ بالأوساخ، وبصراحة أنت
فاجر داعر. إنهم لكى يرضوا غرورهم يتحايلون
بشتى الطرق للتعرف بى ودعوتى إلى قدح من
الشراب، ولكن حاول أن تعثر لى على واحد
يرضى عن طيب خاطر أن يزوجنى ابنته أو
أخته، ستحاول عبثا... أنا لا أؤمن بهم ! (يهوى
على المقعد) أنا لا أؤمن بهم !

نيكيتا : إنك لا تبدو على ما يرام، يا ڤاسيلى
فاسيلڤيتش، إنك تخيفنى. ما رأيك فى أن

تدعنى آخذك الى بيتك ؟

سفيتلوفيدوف : لقد بدت لى فى الرؤيا المهنة اللعينة كلها...

وصدقنى، أنك لتدفع الثمن غاليا لقاء مثل هذه الرؤيا! وبعد تلك.. بعد تلك الفتاة.... لم أعد أكترث لما أفعل. لقد مضيت أحيا فحسب، وبعثرت حياتى سدى دون أن أفكر فى المستقبل. مثلت أدوار الماجنين، والمهووسين، والمغفلين، وأكثر الأدوار سخرية. مثلت دور المهرج. كان تأثيرى مدمرا. ولكننى كنت كما كنت تماما من قبل، ممثلا بارعا! ويا للموهبة التى كانت عندى ! حتى عندما كنت أبددها. إن ذلك ما كنت أفعله حقا، لقد كنت أبعثرها. وأضحى حديثى قذرا، وفقدت تلك الكياسة، تلك القدرة على تقمص الشخصية، القدرة على التأثير... هذه الحفرة السوداء ابتلعتنى حيا ! لم أعرف ذلك قط من قبل، ولكن الليلة، عندما صحوت رجعت ببصرى إلى الوراء وإذا بى أرى ثمانية وستين عاما خلفتها ورائى. وما

علق به بصـرى هو شـيـخـوخـتى ! لقـد غنيت
أغنيتى (يبكى) لقد غنيت أغنيتى! (ينهار).

نيكيتـــــــا : هيا ، يا ڤاسيلى ڤاسيلڤيتش، حاول أن تهدأ.
تمالك نفسك ! كـان الله فى عـوننا جـمـيعـا!
(صائحا) يجوركا ! يجوركا!.

سفيتلوفيدوف : (يستعيد تماسكه فجأة) ولكن يالها من موهبة
تلك التى كـانت عندى! اسمع، إنك لا يمكنك أن
تتصـور أية قـوة وأية عـاطفـة، وأى تحكم، وأى
تعـبـيـر يوجـد هنا.. فى صـدرى (يدق على
صـدره) أصـغ، أيهـا الرجل، أصـغ إلى هـذا،
رويدك، دعنى أسـتـرد أنفـاسـى. أتذكـر هذه
المقطوعـة، من خطبـة مـارك أنطونى الضـافيـة ؟
«نكران للجـمـيل.. أقـوى من ذراعى الخـائن..
قـضى عليه.. وحطم قلبـه الجبـار. وعند قـاعـدة
تمثـال بومـبى حـيث سـالت الدمـاء دواما.. فى
عباءته الفضـفاضـة.. انكفأ على وجـهه.. وسـقط
قيصر العظيم».
لا بـأس، إيه ؟ انـتظر، هـاك قطعـة صـغـيـرة من

«الملك لير» أنت تعرفها. السماء سوداء، أمطار، ورعود، وبروق – دزز زر – شى شى شى هـ هـ

– ثم بعد ذلك!

اعصفى يا رياح، والطمى خديك ! اغضبى! اعصفى!

وأنت أيتها السيول والأعاصير، تفجرى حتى تغمرى أبراج كنائسنا، وتغرقى الديكة بأعلاها!

وأنت أيتها النيران المضطرمة الملهبة للأفكار

أنت أيتها البشائر للصواعق التى تشق أشجار البلوط

أحرقى رأسى الأبيض! وأنت أيتها الرعود التى ترجِّين كل شىء

اقرعى بشدة الأرض المستديرة الغليظة ! شقى قوالب الطبيعة،

واحرقى كل الجذور. تلك التى تصنع الإنسان الجاحد للمعروف!

(بصبر نافد) هيا، بسرعة! كلمات المهرج! قلها لى لا يمكننى الانتظار إلى الأبد !

نيكيتـــــــــا : (يؤدى دور المهرج) أيها الشيخ، ادع بأن تجرى
مياه المحبة إلى بيت لحقه الجفاف خير من أن
تدعو لانهمار السيول فى الخارج. ادخل أيها
الشيخ الطيب واطلب رضاء ابنتك، هاك ليلة لا
ترحم لا عاقلا ولا مأفونا.

سفيتلوفيدوف : «قعقعى كيفما شئت! احرقى، احرقى، تفجرى،
امطرى!
لست، أيتها الرياح والأمطار والرعود والنيران،
بناتى.
أنا لا أصمك، أيتها الجواهر، بالجحود،
فإننى لم أمنحك قط مملكة، ولم ادعك أولادى».
هاك قوة! وإبداعا، ايه؟ هاك ممثلا قديرا! أريد
المزيد، شيئا من الأيام الخوالى. فلنتجه إلى -
(يطلق ضحكة جذلة) هامليت! فلنر، ماذا
ستكون مقطوعتنا؟ أجل، وجدتها... «أوه
الديانة! دعنى أرى واحدا (موجها الكلام إلى
نيكيتا) لم تحوم حولى كما لو كنت ستزج بى
فى شرك؟».

نيكيتـــــــا : «أوه، يا مولاى، إذا كنت جريئا فى واجبى، فأنا
فى إخلاصى لا يضارعنى أحد».
سفيتلوفيدوف : «لا أفهم ذلك جيدا. هلا عزفت على هذا الناى؟»
نيكيتـــــــا : « يا مولاى ، لا أستطيع».
سفيتلوفيدوف : «أتوسل اليك!».
نيكيتـــــــا : «صدقنى، لا أستطيع».
سفيتلوفيدوف : «إنى أتضرع إليك».
نيكيتـــــــا : « لا أعرف كيف ألمسه، يا مولاى».
سفيتلوفيدوف : « الأمر سهل كالكذب، ضع أصابعك وسبابتك
على هذه الثقوب، ثم انفخ فى الناى، وسينطق
بأفصح الأنغام».
نيكيتـــــــا : «ليست لدى المهارة».
سفيتلوفيدوف : «لم تقول هذا؟ والآن انظر كم تجعل منى شيئا
لا قيمة له ! إنك تلعب بى، وتبدو كما لو كنت
تعرف مقاطعى، وتنتزع مكنون صدرى. فهل
تعتقد أننى أسهل لعبا بى من ذلك الناى؟
أسمعنى إية آلة تشاء، ولئن كان فى إمكانك أن
تعذبنى فأنت لا تقوى على اللعب بى». (يضحك

ويصفق) عظيم! أين الشيخوخة منى الآن؟ لا شيخوخة مع هذا الإبداع! إلى الجحيم أيتها الشيخوخة، فأنت هراء ! أحس بالعبقرية تسرى فى كل عرق من عروقى. وإذا لم يكن هذا هو الشباب والحيوية، والحياة، فما هو إذن، خبرنى؟ حيث توجد البراعة لا وجود لأشياء مثل الشيخوخة، يانيكيتوشكا. هذه هى الحقيقة الوحيدة فى الحياة. لقد حرك إلقائى شغاف قلبك، ايه، يا نيكيتوشكا؟ ألم يهز أعماقك هزا؟ وكيف لا ؟ حسنا، ليس هذا كل ما عندى. ما رأيك فى هذه المقطوعة، تعبيرا عن الحنان والرقة والموسيقى... هوس، سكوت!

«ما أحلى القمر وهو نائم على هذه الضفة! سنجلس هنا، وندع نغمات الموسيقى تتسلل إلى آذاننا، السكون رخيم، والليل قد غدا لمسات كلها انسجام ورقة» (يسمع صوت باب يفتح خارج المسرح) ما هذا؟

نيكيتـــــــــــا : لابد أنه يجوركا.. لقد أبدعت، يا ڤاسيلى ڤاسيليڤتش، إبداعا حقيقيا! لذلك أرجو ألا تخذلنى وتفضح سرى.

سڤيتلوڤيدوڤ : (مستديرا نحو الجلبة ويصيح) تعال من هنا، يا عزيزى يجوركا (موجها كلامه إلى نيكيتا) ليس ثمة وجود لما يسمى «الشيخوخة»، يانيكيتوشكا! من ذا الذى ابتدع ذلك الهراء، على أى حال؟ (يضحك مرحا) هاى، لا أخالك تبكى، أليس كذلك؟ لماذا، أيها العجوز، لماذا؟ ما جدوى البكاء؟ هيا، الآن، خل عنك هذا! ليست هذه هى الطريقة. هيا.. (يقبله وقد أغرورقت عيناه بالدموع) حيث يوجد فن ونبوغ، لا توجد شيخوخة، أو وحدة، أو مرض، وحتى الموت ذاته يكون قد سلب نصف قدرته على الإفزاع. (يذرف دمعة) أجل، يانيكيتوشكا، إن أغنيتنا قد غنت. هاه ! أعبقرى أنت ؟ يا للحقارة، لست إلا زجاجة فارغة، ليمونة امتص رحيقها. أنا دودة هائمة، وأنت – أنت فأر عجوز من فئران

المســـرح، ملقن من ملقنى الأقــاليم. حــسنا، فلننصرف ! (يشرعـان فى الانصراف) أتـعلم. لم تعد لى أية قدرة على الإجادة، الدور الوحيد الذى كنت أصلح له مؤخـرا فى الدراما الحقـة هو دور أحد جنود فوتنبراس، وحتى هذا الدور أضحيت جد عجـوزاً عليه الآن.... مؤكد... ماذا تعرف عن ذلك؟.. خبرنى، أتـذكر تلك الفقرة من «عطيل» يا نيكيتوشكا؟

«وداعا أيها البال الخلى! وداعا أيتها القناعة!
وداعا ، أيتها الفيالق المكسوة بالريش،
وأيتها الحروب الكبيرة،
التى تجعل الطموح فضيلة ! أوه، وداعا!
وداعا، أيتها الجياد الصاهلة، والبوق المدوى،
ودقات الطبول التى تملأ القلوب حماسا،
والنفير الخارق للآذان ،
والعلم الخفاق، وكل السجايا،
العزة، والأبهة، وبطولات الحرب المجيدة!»

نيكيتـــــــــا : أنت نابغة، أنت نابغة. هذا إبداع حقيقى !

سفيتلوفيدوف : أو هاك هذه المقطوعة (يمضيان)

«ما الحياة إلا طيف يمضى إلى زوال، أو ممثل

لا حول له يخطر وينفعل على المسرح ساعة

ثم لا يسمع عنه بعد ذلك أحد».

(وقد أضحيا خارج المسرح تماما)

«إلىّ بجواد، إلىّ بجواد، إنى أمنح مملكتى لقاء

جواد!»

(يسدل الستار)

إسكوريال

«مأساة فى فصل واحد»

ميشيل دى جيلدرود

مسرح ميشيل دى جيلدرود

تمسك الكاتب البلچيكى ذو الأصل الفلاندرى ميشيل دى جيلدرود (١٨٩٨ - ١٩٦٢) بحرية كاتب المسرح المطلقة. واستقى إلهاماته حيثما وجدها. وقد استعان فى هذا الصدد كثيرا بعروض السيرك والأراجوز والموالد والحانات والمراقص. وإذا كان قد قدر لبعض مسرحياته أن قدمت على خشبة المسرح فهذا أمر عرضى ما كان يعنيه كثيرا. ولم يكن يتقيد بمطالب الإخراج المسرحى فكتب مسرحية «السيرهالوين» التى تتسم بالتتابع والتغيير السريع فى مشاهدها متأثرا بالنزعات التعبيرية والسيريالية، لكنه كتب أيضا مسرحيات لها من التركيز والتماسك مثلما لرائعته القصيرة «إسكوريال».

ولقد لزم ميشيل دى جيلدرود داره منذ عام ١٩٣٩ بسبب نوبات حادة من الربو المزمن. أغلق باب بيته، وألقى بنفسه - كما فعل المصور الإسپانى فرانشيسكو جويا من قبله - فى عالم

سيريالى هوية وشعر بأنه أكثر واقعية من العالم الذى نقطنه.
وأحاط جيلدرود نفسه فى مكتبه بالدمى والعرائس والمانيكانات الخشبية، التى تذكره بأن للجمادات أيضا حياتها وذاتيتها ومواقفها الخاصة ومعقوليتها، وبأن الإنسان دمية ضمن الدمى، لا تتبين من يجذب خيوطها، ولا تدرى مغزى الرواية التى تلعبها.
كما تذكره بأن العبث والعدم بالمرصاد وأن الموت يلصق أنفه الكريه بزجاج النافذة.

عرض العالم غير المنظور من خلال العالم المنظور:

يقول جيلدرود : «اكتشفت عالم الأشكال قبل أن أكتشف عالم المعانى». ولهذا فهو يركز اهتماما كبيرا على المظاهر المحسوسة فى مسرحياته ، وعلى كل ما ليس حوارا، متفقا فى ذلك مع رفاقه «كتاب مسرح الطليعة» المعاصرين. ويتلاعب جيلدرود فى مسرحياته بكل حواسنا ، يتلاعب بالظلال والنور وبالألوان والأصوات والأنغام، بل وبالروائح التى يحاول أن يثيرها فى خيالنا. وهو يهدف من كل ذلك إلى جذبنا إلى عالم غريب نرى فيه ملوكا ومهرجين وسحرة وعرافات ومشعوذين وأثرياء ورهبانا وذوى عاهات وشحاذين، يؤدون أدوارهم كلهم

بشكل تهريجي ومأساوى فى الوقت ذاته.

ويعرض لنا جيلدرود فى مسرحه عالما مبرقشا صاخبا لا يهدأ له قرار، عبر لوحة شاسعة من الحانات والمواخير الدنسة والملاجئ والأديرة والقصور التى غابت عنها شمس الحب والطهارة. ويطل علينا من خلال تلك اللوحة نفور مصورها جيلدرود من السفسطات الكلامية وإيمانه بأن العالم غير المنظور عالم موجود لكنه لا يمكن أن ينجلى – على الأقل على خشبة المسرح – إلا من خلال العالم المرئى.

الشخصيات:

الملك : ملك سقيم شاحب . يلبس تاجا مائلا وثيابا دنسة . وقد طوقت عنقه وأصابعه جواهر مزيفة. إنه ملك محموم، ذو أسنان ينخر فيها السوس، كلف بالطقوس والسحر الأسود. وقد صور ذلك المصور الأخرق «الجريكو» لوحته.

فوليال : المهرج فى حلته ذات الألوان اللامعة. قوى البنية ذو ساقين مقوستين . له مظهر العنكبوت. ينحدر من «الفلاندر» وتبرق عيناه مثل عدستين فى رأسه الذى يشبه كرة ضخمة معبرة.

الراهب : أسود ، مصدور.

الرجل ذو الثوب القرمزى : ذو أصابع ضخمة، يكسوها شعر غزير.

المنظر : (قاعة فى ذلك القصر من قصور إسبانيا. الإضاءة إضاءة قبو. تتدلى فى المؤخرة ستائر كثيفة تداعبها النسمات بلا انقطاع فتبدو آثار شارات ممسوحة. فى وسط هذه القاعة درجات عتيقة تغطيها طنافس بالية. وتصعد الدرجات عاليا إلى عرش غريب مزعزع، عرش مجنون يحس أنه مطارد ويجد متعة فى هذه العزلة المقبضة، وهو الثمرة الأخيرة لسلالة وبيلة وجليلة.

عندما يفتح الستار يكون الملك متهالكا على عرشه رافعا يديه سادا بهما أذنيه، ويئن أنينا قبيحا، بينما تنبح للموت فى الخارج كلاب يائسة نباحا مديدا بلا توقف. هذه الأصوات النشاز المكدرة التى يجاهد الملك حتى لا يسمعها تقطعها لعنات وضربات سياط .

الملك : اذبحوا الكلاب ! كلاب الصيد! كلها! كفى ! كفى هذا أمر يغيظ إنه مريع! إغرقوا الكلاب ! اقتلوا الكلاب، وحررونى

من نباحها! كفى (ينهض ويترنح) يريدون إرهابى. يريدون أن أفقد صوابى، صوابى الملكى. ومن ذا الذى سيتولى مقاليد أمورهم؟ يحرضون الكلاب على أن تتآمر ضدى، لأن الرجال ماعادوا يجرؤن على ذلك (النباح يتزايد) الرحمة! يا كلاب الليل! يا كلاب! يا كلاب الرعب! يا كلاب.. (ينزل بضع درجات) فوليال؟ يا سيد الحيوان! ضع حدا لهذا.. إنه أمر الملك !

أصوات : (بالخارج) أمر الملك! فوليال..؟ ضع حدا لهذا..

أصوات أخرى : هيه !... شو ! .. شت ! (تصمت الكلاب).

الملك : كلابى؟ قتل كلاب الصيد.. كلابى الجميلة.. الكلاب لا تحب الموت، يا فوليال (ينتحب) إنه لظلم كبير أن يقوى الموت على دخول قصور الملك. كان يجدر أن تطلق كلاب الصيد عليه.. يا لك من مسكينة يا كلابى المذبوحة! (يدخل الراهب فيراه الملك) كلا، كلا، كلا، لم أطلبك أنت! بل الحراس حتى يطلقوا الرصاص على هذا الهيكل العظمى الذى ينزلق داخل المدخنة.

الراهب : (بصوت لا تعبير فيه) يا صاحب الجلالة..

الملك : اصمت !

الراهب : ...... !

الملك : حسنا ؟

الراهب : (يركع على ركبتيه) يا صاحب الجلالة..

(يتلعثم)

الملك : (راكعا أمام الراهب) سأخبرك ماذا ستقول . (مقلدا الراهب) لا يجب أن تشرع جلالتك فى البكاء من الآن. ما من شىء يمكن أن يعجل أو يؤخر الساعة التى لا يعلمها إلا الله. فلتذعن جلالتك للأمر، ولتحن رأسك وتحاول أن ترضخ للمصاب الذى سيحل. هيا امض فى قول ما أتيت من أجله، أيها الطرطور.

الراهب : (وقد جف حلقه) تعلم جلالتك أن القساوسة والشعب والملكة بأسرها راكعون الآن. كما نركع نحن هنا (رافعا إحدى ذراعيه فى حركة خطابية) آه...! (يخفض ذراعه) سيكون عملا عظيما من أعمال البر، عملا مقدسا، أن تأذن للأجراس أن يتعالى رنينها، أن ترفع الحظر الذى فرضته جلالتك على دق الأجراس... (ينهض واقفا) كما لو أن مجرمين آذوا طبلتى جلالتك المرهفتين.. الأجراس التى تعلن للسماء أفراح أهل الأرض وأتراحهم.. هلا

أذنت لها يا صاحب الجلالة ؟

الملك : (ناهضا، ومنفجرا) كلا، كلا، كلا، كلا! لا مزيد من الأجراس! اخنقوا الأجراس! كانت تجلجل ليل نهار. اشنقوا من يقرعونها! (ثائرا) كل هذه المراسم حتى يموت المرء؟ أيها الراهب سأقصم ظهور أجراسك. كانت تدق داخل رأسى. رأسى عامرة بالكلاب فى هذا القصر. سنمضى بلا أجراس ولا صلوات الجماهير. ليدركنا العطن فى أبهة فى الطواويس الموشاة بالشعارات فى هذا القصر. إننا نمشى على جثث الموتى هنا، يفوح المكان بالنتانة، إنك تحب الموت ورائحته ومراسمه الفخمة أيها الراهب ألست ذلك الهيكل العظمى الهائم الذى يطاردنى متخفيا فى مسوح الرهبان؟ (يزيح قلنسوة الراهب، فيبدو وجهه شاحبا وعيناه خفيضتى النظرات. يصيح الملك أكثر هدوءاً) امض إلى عملك. لا يريد الملك مزيدا من الصخب. هذا أمر ! (يخرج الراهب متراجعا إلى الوراء كرجل آلى. يتجول الملك محدثا نفسه). أجراس.. ! كلاب..! الموت..! كابوس..! الموت..! أجراس..! كلاب..! على أبراج الأجراس ترفرف أعلام الكابوس.. الكلاب

تعض الأجراس. الموت يدنس قصورى.. (بعبارات متقطعة) اصنعوا تابوتا من الأبنوس، أبدعوا أضرحة فاخرة... هنا ترقد ! ابكوا، صلوا، أقيموا الجنازات، امضوا فى المناحات، وزعوا على الندماء أقنعة ومناديل، ابذلوا قصارى جهدكم، وبسرعة خلصونى فحسب من هذه المعاناة السخيفة. كما لو كانت النساء لا يمتن كل ساعة ويلقى بهن على أكوام السباخ أو فى قمائن الجير، بلا جلبة، هيه ! لابد أن أبكى أنا أيضا، وأن أصلى، وأن أبدو شاحبا بما فيه الكفاية. لابد أن يعلمنى أحد الممثلين كيف أفعل ذلك. أين فرقتى التمثيلية؟ عندما يخرج الملك بطلعته النبيلة إلى الناس فإن عليه أن يظهر لهم كم هو رقيق العاطفة. ماذا سيقول التاريخ ؟ التاريخ الذى يطلق تسمياته الساخرة على الملوك كما يطلقها على المجرمين؟

(يستدير نحو الحاجز الأيسر) هلا أتيت ؟

(يدخل الراهب)

أنت يا من تعيش خلف حيطان واهية، أصغ إلى مشيئة الملك.. (بمسكنة مبالغ فيها) أريد أن تدق الأجراس، ولكن برفق، برفق. دقات خفيفة دقات متناهية فى الخفة، توافق

أذني صاحب الجلالة الصغيرتين. (يهم الراهب بالانصراف فيستوقفه الملك). إلى أية مرحلة وصل الاحتضار؟ ذلك الاحتضار المهيب المديد كفصل من مأساة؟

الراهب : لا شك يا صاحب الجلالة.. يحاول الأطباء أن يطيلوا تلك الأنفاس وذلك البصيص الأخير في المقلتين.. يحاول الأطباء عبثا..

الملك : يا للدجالين المخلصين ! سنمنحهم ألقاباً في مقابل دوائهم. أيها الراهب أحس بالبرودة تدب إلى روحي. انصرف ! (يخرج الراهب. يصعد الملك ببطء إلى عرشه، وهو يجر قدميه على البساط، ويحادث نفسه) الملك حزين.. الملك مهموم! عندما سأراها يبست وجفت في موكب الشموع والشعارات سأذكر - زهرا كثيرا - زهرا كثيرا - خطيبة أرادت أن تستحوذ على إعجابي - زهرا كثيرا - وسأبكي بسبب الزهور (يخفي عينيه ويبدو أنه يبكي) من أجل ملكتي الصغيرة العزيزة. سأبكي كما لو كنت ستبكين أنت علي، لو أن الموت كان أخطأ الطريق... دخل بيتي بدلا من بيتك!... (ينفجر في الضحك،

وتستطيل ضحكاته آلية. ثم يجلس على إحدى الدرجات)
كم الأمر مضحك! ما من أحد شاهد دموعى. هيه، يا
فوليال؟ أيها المهرج، لم لم تر ملكك يبكى؟ يا فوليال ! هل
كنت تخشى أن تفترسك كلابى، أيتها الحثالة المضحكة؟

فوليال : (يقفز من خلف العرش، ويتحدث من عليائه) كلابك هى
كلاب الملك، يا مولاى، إنها تعض ندماءك لا خدامك.

الملك : أيها المكير ! افتقدتك. هل اقتضاك ذبح كلابى كل هذا
الوقت ؟

فوليال : كان خطؤها الوحيد أنها حيّت الموت ذلك النهاب تحية
شرسة. لاطفت الكلاب فأنا أعرف كيف أخاطب الملوك
والكلاب، يا مولاى. ولكن هذه الكلاب مست شغاف قلبى..
كانت حزينة. وتتعذب، يا مولاى.
(يجلس إلى جوار الملك الذى يتراجع فى جلسته منكمشا)

الملك : أكانت تتعذب ؟ يا للكلاب المسكينة. أنا أتعذب أيضا !

فوليال : يا للملك المسكين !

الملك : ليس ككلب على أى حال، هيه ! إننى أتعذب وفقا
للمراسم. هل رأيتنى أبكى؟ كلا ؟ إذن فأنت لم تر شيئا.
إذا أمكنك أن تضحكنى حقا ساعة الجنازة، فإن العالم

كله سيتحدث عن أحزان الملك العظيمة هلا أضحكتنى؟

فوليال : انظر !

(يخرج مرآة من عباءته وينظر إلى نفسه فيها ويجاهد ليبدو مقطبا. ثم تسقط المرآة من يديه. ويبقى المهرج بلا حراك وقد ارتسمت على وجهه تكشيرة رائعة. ويقول فى صوت خفيض) هذه أحزان الملك !

الملك : رائع ! ...

(تنطلق من حنجرته ضحكة مخبولة. ويستدير مشيحا عنه فينزعج فوليال)

فوليال : مولاى، التماسيح أساتذة بارعون فى مثل هذه الأحزان الكبيرة ! هل تجد فى مآقيك بعض الدموع أحيانا ؟

الملك : (مشيرا إلى وجهه الذى احمر فرحا) هوه ! يا للخداع ! إنه يكاد يرثى لى ! حاول أن تقلدنى ! إن كنت ذهبت أنا إلى مدرسة التماسيح فلابد أنك قد تتلمذت أنت على القرود. إلى العمل، هيه ! شغل وجهك !

فوليال : (مندهشا) أعفنى من ذلك.

الملك : إنها مشيئتى !

فوليال : (يبحث عن مكان يصلح للاختباء فيه ثم يغطى وجهه بذراعيه) مولاى ؟ (ينفجر فى نوبة من الضحك).

الملك : (يضرب الأرض بقدميه) جميل، جميل جدا!

(تداخل صوته رنة من الارتباك) والآن، توقف ! (تشتد ضحكات فوليال) كفى!.

(يخفض ذراع المهرج فيبدو وجهه متقلصا بليدا) كنت تبكى؟ أجبنى ؟

فوليال : كان بكائى من أجل الكلاب.

الملك : هل تدعى أنك تفوق الملك ؟

فوليال : (متمالكا نفسه) أردت أن أريك كم هى سهلة هذه الخدع.

(يضحك المهرج بحق هذه المرة ضحكة مريرة إزاء دهشة الملك . تدق الأجراس من بعيد، فيرتعد الملك)

الملك : اضحك مرة أخرى. أحب هذه الضحكة الفلاندرية التى يتخللها صرير الأسنان أضحك بصوت أعلى ! أريد أن يسمعوك فى أقصى القصر. أريد أن يزعج ضحكك الحيوانى الموت ذاته. ارفع صوتك ! (يصبح ضحك فوليال مخيفا، لقد أضحى زئيرا). كفى! (يتوقف فوليال

عن الضحك . ينزل الملك الدرجات ويتبعه فوليال خطوة خطوة) أود أن أضحك بدورى، وأن أتصرف كبهيم .

فوليال : دعك من الرسميات .

الملك : (يستدير إليه) ماذا تقول ؟ أليس ثمة مرح إذن يمكن الحصول عليه منك ؟ يا مهرج الجنازات ! ماذا دهاك؟

فوليال : إن هيئتى تليق بالمناسبة .

الملك : (يسير جيئة وذهابا وفوليال فى أعقابه) ها هى أسابيع، أسابيع سوداء تتلكأ وتتسكع. وتلوى وجهك لترضى نفسك فحسب ! دنىء منك ذلك ! وظيفتك أن ترفه عنى! وها أنا فى انتظار الخلاص، فى انتظار أن ينصرف الموت إلى غير هذا المكان. وأنت خلت جعبتك حتى من كلمة مضحكة، حتى من نكتة واحدة ترفه بها عن ملكك. أنت تفيض بالمرارة! (يتوقف) لماذا تسير خلفى؟

فوليال : إنى أطأ ظلك.

الملك : (راضيا) ها أنا أعرفك أخيرا. عادت إليك شخصيتك ! أنت متعجرف غدار، لست خبيثا ثرثارا بالتفاهات مثل المهرج الإيطالى أو الفرنسى. أنت كتوم حقود مثل مهرجى جنسك. سبع خطايا تقرأ بالأحرف الكبيرة على

جلد وجهك العتيق. الخطايا السبع وأرجاس أخرى!
أحببتك لكونك على هذا القدر من الكمال فى الشر، أنت
الرجل الوحيد الذى يمكن لملك مثلى أن يطيق (يقفز جانبا
بغتة) آه خدشت ظلى ! (يصفع المهرج) لا تقترب منى
وإلا أرسلتك لتنام مع الكلاب. أيها الكلب الخسيس
الذليل! أيها الكلب اللئيم ! إن لك سيماء وأساليب كلب
أفطس. سر على يديك وقدميك، يا فوليال. (ينحنى فوليال
على يديه وقدميه) لا تعض. (بلهجة آمرة) تمدد ! حك
براغيثك! (ينفذ فوليال ما أمر به) نم ! (يتنهد فوليال ويقلد
كلبا نائما. برهة صمت. يتوجس الملك خيفة) كلبا كنت أم
مهرجا فيما تفكر؟
(يتقدم فوليال نحو الملك ويتشممه) فوليال؟ لا أريد ذلك !
أهو الموت الذى تتشممه؟ تلك الجيفة النتنة؟ (تدق
الأجراس من جديد. يمد فوليال رقبته وينبح مثل كلب فى
وجه الموت، فترد عليه كل الكلاب من الخارج. يقفز الملك
على الدرجات وقد جن جنونه) يا للعنة! إنها تطاردنى.
كفى! اذبحوا الكلاب، والمهرج ! (يصعد فوليال الدرجات
على قدميه ويديه متعقبا الملك دون أن ينقطع عن النباح)

إننى فريسة الكلاب (يركل المهرج) انهض !

فوليال : (وقد انتصب واقفا) خادمك المطيع جدا...

(يواجـه كل منهـمـا الآخـر عند أعلى الدرجـات. تتـعـالى الشتائم من الخارج ثم يخمد النباح، ويخيم الصمت).

الملك : ماذا تفعل إلى جانبى ؟

فوليال : أنتظر أوامرك.

الملك : انزل.

(ينزل فوليال الدرجات بخطوات متثاقلة، ثم ينهار بغتة)

فوليال : مولاى ؟

الملك : (يجلس على العرش) هل تبدأ لعبة فى النهاية ؟

فوليال : الرحمة ؟ دعنى أصعد إلى غرفتى؟ أريد أن أنام..

الملك : أيبقى الملك وحيدا؟

فوليال : ضحيت بسنى عمرى فى تسليتك وها أنا قدبلغ التعب منى منتـهـاه. فكرى خـامـد. مـولاى، هرب النوم من هذا القصر. تمر الساعات فى هلوسة مخيفة هل أشفقت على المهرج الذى بحاجة إلى الرقاد ؟

الملك : لم يحن الوقت بعد . علينا أن ننتظر حتى يرحل الموت.

فوليال : لا يليق أن نضحك بينما الموت يعمل.

الملك : ومـاذا لو كـان يروق لنا أن نضـحك ؟ كف عن الأحـزان!
أريد أن أضـحك. وأنت تريد أن تنام؟ لابد أن أضـحك !
وإذا لم تنجح فى إدخـال السرور على نفسى فهناك الحبل
الذى أحتفظ به للخدم السيئين وزراء كانوا أو مـهرجين،
الحبل الذى سيجعلك تؤدى أكثر الحركات إثارة للضحك !
أليـسـت فـى رأسك ذرة من الصـــواب؟ اضـحـك! وإلا
فـسـأسلمك لجـلادى الذى سـيـعـاملك مـعـاملة يهـودى أو
مزيف.

فوليال : الرحمة ؟

الملك : (واقـفـا) مـاذا يبقى لى متى أصـبح مـهرجى مكتئبا غير
قادر على أن يطرد النعاس من جفنيه ؟ ومـاذا يعنيك أنت
لو كانت الملكة تلفظ أنفاسـهـا الأخيرة وكـان الموت يؤدى
مـهمته، قد يحسب المرء أنها زوجتك أو ابنتك تلك الراحلة
إلى مملكة الديدان (بغـضب) مـهـزلة. ابتكر!.. مـهـزلة من
فضلك، ابتكر شيئا.

فوليال : (ناهـضـا) مـهزلة، عميقة وقصيرة، آخر مـا أحس أنى
قـادر عليـه.. سنشـتـرك فى أدائهـا، يا مـولاى. (يحـيى
جمهورا يتخيل وجوده ويبدأ تمثيلا صـامتا يقدم به الملك

ثم يقدم نفسه. يدور بعد ذلك على قدم واحدة ويقفز على الدرجات) فى بلدى، أثناء الصيام الكبير، يختار أحد السذج ويكسى بأسمال زاهية الألوان ويزود بتاج وصولجان وينصب ملكا ! ملكا يحتفون به ويقودونه إلى عرش خيالى. يحيطونه بكل تبجيل. ويتجمع حوله الرعاع يتملقونه ويخدعونه وتمر مواكبهم أمامه. ويهللون له ويعب الملك الخمر عبا، وينتفخ بالجعة والمجد الباطل. وعندما يفتنه فى النهاية مصيره.. (يقفز نحو الملك) ينزعون تاجه ويلقون به أرضا. (ينتزع التاج عن رأس الملك، ويلقى به فيتدحرج على الدرجات) ويأخذون منه صولجانه (يخطف الصولجان من يد الملك) ليصنعوا منه من جديد الرجل الذى كان عليه من قبل ! (يتراجع) كما فعلت بك الآن. (بلهجة معسولة) هل تفهم؟ لست الآن سوى رجل عادى، ويا له من رجل قبيح ! (بحركة سريعة يخلع قلنسوة المهرج من على رأسه ينزع شخشيخته من حزامه. ويمشى مصفرا) وأنا مثلك، قد عدت مجرد إنسان. وقبحى يعادل قبحك. (يضحك فى مرارة) هل تفهم على الأقل اللعبة التى أعرضها؟ كنت أعدها منذ أمد طويل،

فهل ستعجبك؟ ستضحك لتلك القهقهة الفلامنكية الرائعة التى تعشقها! سأراقبك أنا وأنت تقهقه بشكل لا مثيل له. كما يضحكون فى أقبيتك.

(تنبسط راحتاه وتنفرج أصابعه. تصطك أسنان الملك. يبدو فوليال كما لو كان قد فقد وعيه. واقتصرت الحياة على يديه اللتين تتحركان بكل قوة، فى الفضاء نحو عنق الملك، الذى هوى على عرشه راكعا على ركبتيه، فاغر الفم، يريد أن يصرخ لكن الصرخة لا تخرج من حلقه. وتحيط يدا المهرج بعنق الملك . وإذ يهم بأن يطلق صرخة تخرج من فمه الفاغر ضحكة حادة. تعيد هذه الضحكة المهرج إلى صوابه، فيرخى قبضته بينما تظل يداه مشدودتين فى الفضاء. ويفر الملك من العرش مبتعدا عن فوليال .

الملك : (لاهثا) كانت مهزلة محكمة، مهزلة جيدة ! دعنى أضحك ملأ شدقى! أديتها بإتقان حقا، وكم كنت بارعا فى تصويرك للكراهية، إن دهشتى لعظيمة! لم ألحظ يديك من قبل قط ! يالهما من يدين مذهلتين ! عندما تصير مفرط الغباء سأعينك جلاداً، ما لم تكن قد أعدمت قبل ذلك

الوقت. (ينزل بضع درجات ويبصق فى الهواء) أيها الصديق القديم هذه ألاعيب دنيئة. (صرامة) ما هذا أيتها البقة ؟

فوليال : (يثوب إلى الحقيقة) مولاى، هلا طلبت لى الجلاد ؟

الملك : لم يحن الوقت بعد !

(يمسك فوليال من كتفيه) كم كانت مزحتك مبهمة، وكم أحب الإبهام ! كنت ضجرا، لكنك سليتنى على أى حال. ها أنا فى النهاية قد ضحكت، واستغرقت فى ضحك انبعث من أعماقى، وعاد إلى حسن المزاج.

فوليال : (متمتما) هذا المكان من الصعب أن يلهم.

الملك : من الجلى أنك لست فى أيامك الموفقة ! (يخبط فوليال فى بطنه) لم تعرف كيف تختتم ملهاتك كما يجب. هيه.. كان عليك إما أن تخنقنى لكنك لم تكن الرجل الذى توسمت، وإما أن تمضى فى ملهاتك لكنك لم تكن الفنان الذى اعتقدت (يضحك ضحكة مكتومة) أفهم فن الممثلين والمهرجين، وأكن لهم كل مودة! لى روح مهرج، هذا المساء بالذات ماذا لو مثلنا؟ سيكون الأمر سهلا طالما أصبح كل منا رجلا عاديا. وإذا أردنا أن نكون أكثر من

ذلك لما احتجنا إلا إلى بعض الكماليات. رجلان عاديان
أليس ذلك ما كنت تفكر فيه؟ كنت أنا ملكا، وأنت مسخا
وها قد أصبحنا مجرد رجلين ! أجن فرحا بالفكرة لكن
وجهك أنت أيها المسخ، يعبر عن الانشغال والضيق
واليأس - تلك المشاعر التى كان يجب أن تبدو على وجهى
أنا لكنها لن تبدو رغم كل جهودى! ودمامتك أيضا شىء
ملكى، ملكى حقا. لنبدأ التمثيل، إذن..

(يتناول التاج بسرعة ويضعه على رأس المهرج. ويأخذ الصولجان ويزج به فى يده. ثم يخلع عباءته ويلف بها كتفى فوليال، الذى لا يفهم ما يدور فيتمنع على الملك باستحياء).

فوليال : خدعة !

الملك : ملهاة !

(يتراجع ويتفحص المهرج مجاملا) ياله من ملك ! ياله من ملك جدير بمحاكم التفتيش! المهزلة تمضى! اصعد إلى عرشك أيها القرد المتوج!.

(بينما يصعد فوليال الدرجات بصعوبة وقد بدا عليه أنه ناء يحمل التاج والصولجان، يضع الملك على رأسه

قلنسوة المهرج ويتناول شخشيخته . وعندما يصل فوليال
إلى العرش يغوص فيه ويتأمل فى ذهول عميق تصرفات
الملك عند أسفل السلم).

فوليال : مولاى ؟..

الملك : (ينحنى ساخرا) مولاى أريد بمعابثاتى أن أبدد أحزانك.
الملكة تموت ؟ باعتبارى مهرجا مخلصا سأقدم تنويعات
على هذا الموضوع: الملكة المنكودة... ها أنا أسخر منها !
ليس من مهامى أن أحزن على أحد! سنجد ملكة أخرى
بدلا من الملكة الميتة ! دعنى أضحك ! إن سرورى لعظيم !
ألم أولد مهرجا، يا مولاى ؟ إنى بطبيعتى ماجن، لئيم
مخادع وأشبه النساء فى كل ذلك. وما كانت الملكة فى
حاجة إلى أكثر من نظرة حتى تتبين تفاهتى وتولينى
احتقارها ! تفحصت روحى وجسدى ورأت أنى لست
سوى مهرج رافل فى ثيابى الفاخرة. وحتى إن كنت
تصرفت تصرف الملوك ما كانت ستخدع فىّ. صدقنى، يا
مولاى فعلت كل شيء لإغوائها. جربت كل ألاعيبى
المضحكة. لكنها كانت بلا طائل. (يأخذ فى التبختر) لكن
هل يقص مهرج عن حياته ؟ إنه يرقص ! أنا أرقص

للموت ! أرقص لخلاصى! أرقص لطقوس الجنازة، المهيبة
ولإلقاء تلك الدمية من الشمع المضمخة بالعطور إلى العدم
. أنزلوها بسرعة إلى كهف الأضرحة تحت سيل من
قطرات الماء المقدس ! لا أخشى شبحها. (يشرع فى
التبختر من جديد) لا تدهش إذ ترانى أرقص. إننى
أرقص كأرمل، ككبش عيد الفصح، كجن أسطورى.
(يتوقف ثم يرقد على الدرجات وقد أنهكه التعب) هل
تعجبك مناجاتى، يا مولاى ؟

فوليال : أيها المجدف! إن التى تموت إنسانة جميلة طاهرة نقية،
إنها تموت من الصمت وظلمات هذا القصر الذى للحوائط
فيه عيون وكل قاعات الاحتفالات تخفى شراكا وأدوات
للتعذيب. إنها تموت ملكة بلا رعية، فى مملكة ملطخة
بالدماء، تسودها الجواسيس والمحققون. أقول لك الحق
إن الموت مخلص تمنيت قدومه كما تمنيت أنت قدومه. وقد
أقبل الموت سريعا لكى لا يجول بعيدا عن هذه الأماكن
التى يشارك فيها الجنون.

الملك : أوه يا مولاى ! أمن الحكمة الكلام بهذه الحرية ؟ الملك
وحده الذى باستطاعته أن يجاهر بمثل هذه الأحاديث،

دون أن يتعرض لأن يكره بآلة التعذيب على ابتلاع كل الكلام الذى خرج من حلقه .

فوليال : (الذى لم يسمع ما قيل) اسكت أيها المهرج ! إننى أعرف حتى أحط ألاعيبك البذيئة. أنت نهاش للأعراض، مولع بالقاذروات، مغرم بالمسوخ والمشعوذين، الذين يتلذذون برائحة اللحم المحترق وثرثرة الببغاوات. خطاياك يندى لها جبين رجل الدين. وإذا كان الله لم يزهق روحك بعد فلأنه يدخر لك نهاية مثل نهاية هيرودس أو أسوأ منها.

الملك : مولاى ، لا تكن متعسفا معى ! ليست مهنتى جد نبيلة مهنتى أن أجرٍّح. هل يمكننى أن أعرف، أنا الذى على حافة الإنسانية ماذا يمكن أن يكون الحب، وآلام الآخرين؟ . ما من شك أنى قاسيت بدورى من هذا الاحتقار: هذا الاحتقار مثل وخز الإبر..

(فى صوت خفيض) أعرف أنك الوحيد الذى فهمتها، تلك المرأة غير المفهومة. كانت تخصك بنظرات ليست كتلك النظرات التى كانت تجمد الدم فى عروقى، وتجعلنى أرتجف خزيا، بل بنظرات مديدة ندية، نظرات الكلبة

العارفة للجميل.

(يصعد الدرجات) تلك الملكة ؟ أعرف أنك، رغم رقابة الجدران والأقفال والخدم، نفذت إلى روحها (صوته يختنق) أنك استحوذت على جسدها..

فوليال : (يقف مترنحا) هذا العرش جد عال.. يصيب المرء بالدوار..!

الملك : أجل، كانت غراميات غريبة ! فى إحدى الأمسيات العاصفة، المليئة بالذباب والروائح العطنة تسللت أنت عبر الأروقة... وأنا، المهرج، تسللت فى أعقابكما... (فجأة ينخفض صوته إلى درجة الهمس الخفيض) وعرفت لذة شرسة.. لذة مراقبتك وأنت غارق فى لذتك، ورقدت أتلوى فى صمت على البلاط... (بصوت حاد) مولاى، الملوك لا يعرفون الحب. تلك قاعدة. ملوك هذه البلاد يقوم ملكهم على الكراهية الشاملة !... (يصعد بضع درجات).

تلك المتعة المفرطة أثارت لدى المهرج لواعج ضغنه.

مولاى، هل تسمعنى (ويواجه فوليال بكل جسمه) الملكة... النجمة.. النحلة.. النغمة.. الملاك .. الملكة كما فى الروايات التى عفا عليها الزمن يقتلها هذا الحب ! إنها

تموت بسبب هذا الحب البشع الشاذ ! هل كانت تعرف ذلك وهى تستنشق هواء غرفتها، وهى تأكل فاكهتها المفضلة؟ (ينزل ثلاث درجات) إنها تموت كما يموت كل أكابر هذه البلاد.

(يتحول صوته الحاد إلى عواء) إنها تموت مسمومة. (ثائرا) لا يدخل الحب هذا القصر. ممنوع أن تحب فى هذا القصر! (يقع متدحرجا على الدرجات حتى آخرها) آه، المهزلة...

فوليال : (ينزل كالمخمور) أيها المهرج، هل أنفجر ضحكا؟ أم أنك تفضل الحقيقة؟

الملك : وحق أملى فى الدينونة! خبرنى: من منا ذو الموهبة ؟

فوليال : أنت ممثل كبير.

الملك : كلانا ممثل كبير! كفى، انتهت المهزلة، وليصبح كل منا نفسه من جديد.

فوليال : (يفر صاعدا الدرجات) إنه تاجى... أنا الملك !...

الملك : (مقتفيا أثره) إنه تاجى... أنا الملك !...

فوليال : أنا الملك، طالما أولتنى ملكة حبها !

الملك : (ينتزع التاج ويمضى ممسكا به) احتفظ بذلك الحب!
وأعد إلى التاج.
(يتماسكان، ويتصارعان صامتين على درجات العرش.
يدخل الراهب)
الراهب : أعلن جلالتكم... (ينفصل الاثنان عن بعضهما.
لاهثين) الملكة.
(يهم بالانصراف وقد أصابه الخوف.. يثب فوليال نحوه).
فوليال : ماذا ؟ الملكة ؟ تكلم، أنا الملك !
الراهب : أبلغ الملك.. أن الملكة ماتت ! (يخلع الملك التاج
والصولجان والعباءة عن فوليال، الذى يبقى متسمرا فى
مكانه) أيا كان الملك يجب أن يحضر !...
فوليال : (يخر على ركبتيه ويخفى وجهه) ليرحمها الله !
الملك : فليأخذها الشيطان ! (يضع التاج على رأسه ويلقى
العباءة على كتفيه)
أوروس !
(يلوح بالصولجان نحو باب خفى مشيرا إلى المهرج ثم
يبصق على فوليال) بعد الملهاة تجىء المأساة...
فوليال : (منتحبا) ماتت الملكة.

(يدخل الرجل ذو الثوب القرمزى وهو ضخم الجثة سريع الحركة، يغطى رأسه بقلنسوة وعلى أثر إشارة أخرى من الملك يجثم على عنق فوليال ويخنقه فى صمت).

الراهب : أتأذن بالصلاة عليه؟...

الملك : وهل خلقت المراسم الدينية للمهرجين؟ هيا إلى واجبنا (يخطو بضع خطوات نحو اليسار ثم يقفل عائدا) هيه، أيها الجلاد ! (ينهض الرجل ذو الثوب القرمزى ويمسح يديه) مهرجى ؟ مهرجى المسكين ! (إلى الراهب) ليس من الصعب يا أبت أن تجد ملكة لكن مهرجا...

الراهب : باسم السماء ، تعال .

الملك : أجل ، أنا حزين ، يا أبت ، حزين .. (يغمز بعينه للراهب غمزة مبتذلة) ماذا ؟ كنت تقول الملكة ماتت ؟..

(ينفجر فى الضحك، فى غباء، ويمضى خارجا فى أعقاب الراهب. يخرج الجلاد يجر جثة فوليال . تسمع ضحكات الملك المخبولة وهى تخبو مبتعدة. تعاود الأجراس فى الرنين. تدوى طلقة مدفع. تنبح الكلاب فى الخارج).

ستار

رجل الأقدار

چورج برناردشو

مقدمة

چورچ پرنارد شــو George Bernard Shaw ، أديب أيرلندى ساخر، منح جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٢٥، واعتذر عن قبولها. ولد فى دبلن فى ٢٦ من يوليه عام ١٨٥٦ وعاش صباه فى حالة من الفقر الشديد وتخلف فى سن السادسة عشر عن إكمال تعليمه. على أنه نمت لديه دراية واسعة بالموسيقى بفضل تأثير أمه التى رحلت إلى لندن حيث اشتغلت بتدريس الموسيقى وفى العشرين من عمره راح يمضى أغلب وقته فى مكتبة المتحف البريطانى يقرأ ما يعوضه عما فاته بتركه المدرسة مبكراً. أما أمسياته فراح يتابع فيها المحاضرات والمناظرات التى كانت متاحة لأبناء الطبقة المتوسطة اللندنية آنذاك. وقد كان لقاؤه «بالجمعية الفابية»، التى سعت إلى تغيير أحوال المجتمع ليس بالقوة بل بالحوار والجدل والإقناع، ذا تأثير كبير على شخصيته فقد منحته ما يحتاجه الكاتب المسرحى من قدرة على إدارة

الحوار وعرض القضايا. كما أضحى يشارك فى الصفحات الأدبية كناقد فنى وموسيقى، وعلى الأخص لأعمال الأوبرا، ثم أسند إليه عامود من أعمدة النقد المسرحى بمجلة أسبوعية، فشمر ساعد الجد لمحاولة تغيير معالم المسرح الڤيكتورى بما شابه من رياء ونفاق وتكلف، وركود عند الموضوعات المطروقة والحيل المعادة، وإحلال مسرح جديد أكثر حيوية وإيجابية. ثم أخذ شويكتب أيضا مسرحياته.

وقد بدأ چورچ برنارد شو مشواره المسرحى بمسرحيات سماها «مسرحيات لا تسر الخاطر»، ومن ضمنها مسرحية «بيوت الأرامل» و«حرفة السيدة وارنت»، وقد قامت على نقد جارح لبعض خفايا المجتمع الإنجليزى، ولكنه ليس على أى حال فى القالب التراجيدى الذى لم يكن يروق له، بل أميل إلى الكوميديا الانتقادية الرصينة، وهى مسرحيات يمكن تسميتها أيضا بـ «دراما الأفكار». ولكنها لقيت استياء المحافظين على المجتمع الإنجليزى بكل رذائله وعدم أخلاقياته فى ذلك الوقت.

ثم اتجه شو بعد ذلك إلى كتابة مسرحيات جمعها فى مجلد بعنوان «مسرحيات تسر الخاطر» ومن هذه المسرحيات «الأسلحة والإنسان» (١٨٩٤) و«الإنسان والإنسان الكامل» و«كانديرا» و«لا يمكنك أن تجزم بشىء» (١٨٩٩).

أما المجموعة الثالثة من مسرحيات شو فكانت تحمل عنوان «ثلاث مسرحيات للمتزمتين» ومن المسرحيات التى تضمنتها «تلميذ الشيطان» (١٨٩٧) «وقيصر وكليوباترا» (١٩٠١) وكانت هذه أولى مسرحيات شو الكبيرة وفيها يصور كليوباترا على أنها حبيبة فاسدة مدللة فى السادسة عشرة من عمرها، وليس كما صورها شكسبير من قبل امرأة محنكة فى الثامنة والثلاثين من عمرها تحاول إغراء قيصر وإيقاعه فى أحابيلها.

وتنتمى «رجل الأقدار» "Man of Destiny" إلى تلك الطائفة من المسرحيات التى تصدى فيها برنارد شو لشخصية تاريخية، ورأى فيها ما لم يره غيره، فقدمها مبرزاً ذلك الجانب الذى أطل منه عليها. فهو فى «رجل الأقدار» يفعل بنابليون ما فعله «بقيصر وكليوباترا» فى مسرحيته التى سماها بهذا الاسم والتى تعتبر فى طليعة أعماله الكبيرة، ولكنه لا يتخلى عن سخريته، فيقول إن من سوء حظ إنجلترا أن نابليون لم يغزها وإلا كان قد أصلح كثيراً من مساوئها.

ويتمسك برنارد شو بأن الإنسانية هى مرحلة فى حركة أبدية لقوى الحياة نحو مستوى أعلى من الوجود. وفى مسرحيته «حيرة طبيب» (١٩١٢) يقول شو إنه يجدر بالإنسان أن يكون له هدف يستأهل الموت من أجله، وذلك كى تكون الحياة جديرة أن

تعاش. وهو أيضا ما نلمحه فى ثنايا مسرحيته الكبيرة «القديسة جان» (١٩٢٣) وأن أخشى ما يخشاه الإنسان هو القضاء على كل تطلع إلى ما هو خير وعدل وتقدم . وفى مسرحيته «بيت القلوب الكسيرة» (١٩٢٠) نجد عملاً أدبياً ضد الحروب، وما قد تفضى إليه من إلقاء الإنسانية فى هوة عميقة من اليأس لا قرار لها.

ولعل أكثر كوميديات برنارد شو شعبية هى: «بيجماليون» التى قدمت عام ١٩١٢ وقد اقتبست هذه المسرحية فى عمل غنائى بعنوان «سيدتى الجميلة» (١٩٥٦) ثم للسينما عام ١٩٦٤ ومن قبل أيضا عام ١٩٣٨ حال حياة برنارد شو الذى كتب السيناريو لها وحصل عنها على جائزة الأكاديمية.

هذا هو فى كلمات قصار چورچ برنارد شو مؤلف «رجل الأقدار» وهو أكثر كتاب المسرح الإنجليزى أهمية منذ القرن السابع عشر. ولم يكن فحسب ذا دعابة جعلت الجماهير متعلقة به، بل عنى أيضا بأن يضفى على عطائه المسرحى جدية لا تضارع فى لغة نثرية كلها عذوبة وجمال وحيوية.

وفى الثانى من نوفمبر عام ١٩٥٠ مات چورچ برنارد شو عن أربعة وتسعين عاما.

الشخصيات:

نابليون

السيدة الغريبة

الملازم

جوزيبى، صاحب الحان

الثانى عشر من مايو عام ١٧٩٦ فى شمال إيطاليا عند تافازانو على الطريق من لورى إلى ميلانو. شمس الأصيل تسطع هادئة على سهول لومبارديا، وتكسو جبال الألپ بإجلال والتلال المتناثرة بترفق، ولا تعاف من استمتاع الخنازير فى القرى بدفئها ولا يضيرها استقبالها الفاتر فى الكنائس. ولكنها تُظِلُّ باحتقار لا رحمة فيه على سربين من الحشرات المؤذية، هما الجيشان الفرنسي والنمساوى.

ومنذ يومين حاول النمساويون عند لورى أن يمنعوا الفرنسيين من عبور النهر عبر جسر ضيق قائم هناك، ولكن الفرنسيين - بقيادة جنرال فى السابعة والعشرين من عمره هو نابليون بونابرت، الذى لا يحترم قواعد الحرب- استطاعوا أن يقتحموا الجسر الذى اكتسحته النيران تساندهم مدفعية مهولة ساهم الجنرال الشاب فى إطلاقها بكلتى يديه. وإطلاق المدافع هو تخصصه الفنى تدرب عليه فى سلاح المدفعية فى ظل النظام القديم، وقد برع فى الفنون العسكرية من حيث التهرب من واجبه ، ونهب أموال الخزانة تحت ستار مصاريف الانتقال، وتجليل المعارك بقصف المدافع ودخانها كما صورته كل اللوحات العسكرية. على أنه على أى حال أصيل فى دقة الملاحظة، فقد

أدرك لأول مـرة منذ اخـتـراع البـارود أن قـذيفـة المدفع إذا مـا أصابت شـخـصـا أردته قتيلا. وإلى جانب إدراكه التام لأهمية هذا الاكتشاف الجديد بالملاحظة فإنه يتمتع بموهبة بالغة النضج فى الجغرافيا الطبيعية وحسـاب الأزمان والمسافات. وهو ذو جلد بالغ على العمل ومعرفة واقعية نيِّرة بالطبيعة البشرية فى صدد الشـئـون العـامـة، بعـد أن رآها وقـد وضـعـت مـوضـع الاخـتـبـار المتناهى فى أثناء الثـورة الفـرنسـيـة. وهو خـصـب الخـيـال بلا أوهام، وخـلاَّق بلا ملة أو ولاء أو وطنيـة أو أى مـن المثل العليـا الدارجـة. وليس ذلك لأنه عـاجـز عن إدراك هـذه المثل بل على النقيض من ذلك، فإنه قد التـهـمها كلها فى صبـاه. والآن ، وقد توافرت له موهبة تمثيلية أريبة، أصبح بارعا فى اللعب بها براعة الممثل القدير بل وشيخ الممثلين. زد على ذلك أنه ليس ولدا مدللا، فـإن الفـاقـة وسـوء الحظ، وتقلبـات الزمن التى أكسـبـتـه دمـاثـة خسيسة، والخـيـبـة المتكررة كمـؤلف، ومذلتـه كمنافق ممجـوج، والتأنيب والعقاب اللذين لقيهما كضـابط غير كفء وغير شريف، ونجـاته من عزل مـزر مـحقق من الخدمة لولا هـجرة النبلاء التى رفـعت حـتى أسوأ ضـابط إلى مـسـتوى أعلى الجنرالات. كل هذه الرزايا سـحقت كبريـاءه، وأجبرته على أن يعتمد على نفسه وأن

يدرك أن العالم لن يمنح أمثاله شيئا ما لم ينتزعه بالقوة. وفى هذا لا يخلو العالم من الجبن والحماقة، إذ يبدو نابليون مفيدا كمدفعى قاس، قَلَبَ حثالات السياسة رأسا على عقب، والحقيقة أنه من المستحيل حتى الآن العيش فى إنجلترا دون الشعور أحيانا بفداحة ما خسرته تلك البلاد من عدم غزوها بواسطته أو بواسطة يوليوس قيصر.

على كل حال فإنه فى أصيل هذا اليوم من أيام مايو ١٧٩٦ كان حديث العهد بالترقية إلى رتبة چنرال، التى رقى إليها تارة باستخدام زوجته فى إغراء رجال الحكومة ، وتارة لندرة الضباط الناتجة عن الهجرة التى سلف ذكرها، وتارة أخرى لمقدرته على معرفة أى بلد بكل طرقاتها وأنهارها وتلالها ووديانها معرفته لراحة يده. وإلى حد بعيد أيضا بثقته الجديدة فى فاعلية رمى الناس بنيران المدافع. أما عن جيشه، من حيث نظامه، فهو فى حالة صدمت بعض الكتاب العصريين الذين مُثِّلتْ القصة التالية أمامهم، متأثرين بمجد الإمبراطور الذى جُلِّل به فيما بعد، وأحجموا عن الوثوق فى صدقها. ولكن يلاحظ أن نابليون ليس ذلك الإمبراطور بعد، ورجاله مازالوا يسمونه «الأمباشى الصغير»، لأنه ما برح فى مرحلة التأثير عليهم

باستعراض أعمال الجسارة. ولم يكن فى الوضع الذى يسمح له بعد أن يفرض إرادته عليهم بالأساليب العسكرية التقليدية، وإنما بالتحايل والدهاء. ولقد نجت الثورة الفرنسية من الإخفاق بوسيلة واحدة، هى إحلالها بقدر المستطاع، محل عادة الملوك القديمة فى التراخى عن أداء مرتبات الجنود لآجال كانت لا تقل عن أربع سنوات، عادة عدم الأداء إطلاقا، اللهم إلا بالوعود والتملق باسم الوطنية، وهو ما كانت لا تعرفه الأحكام العسكرية البروسية من جهتها.

وعلى ذلك اقترب نابليون من جبال الألب على رأس جيش من الرجال المفلسين فى ثياب رثة، وبالتالى غير مستعدين لتقبل الكثير من الأوامر، وعلى الأخص إذا كانت صادرة من جنرال ناشىء. على أن هذا الظرف الذى يمكن أن يضايق عسكريا مثاليا كان يساوى لدى نابليون ألف مدفع. وقد قال نابليون لأفراد جيشه «إن لديكم الوطنية والشجاعة، ولكن ليس لديكم نقود ولا ثياب ولا حتى القوت الضرورى. وفى إيطاليا توجد كل هذه الأشياء كما يوجد المجد الذى لا يظفر به إلا جيش مخلص بقيادة جنرال يعتبر السلب والنهب حقاً طبيعيا للجندى. وأنا من هذا النوع من الچنرالات، فإلى الإمام يا أولادى!» وقد جاءت

النتائج مؤكدة لما قاله تماما، فقد غزا الجيش إيطاليا كما غزا الجراد قبرص، فكان الجنود يحاربون طوال النهار، ويمشون طوال الليل ليقطعوا مسافات بعيدة عن التصديق، ويظهرون فى أماكن لم يكن من المتصور ظهورهم فيها، لا لأن كلاً من هؤلاء الجنود كان يحمل عصا المارشالية فى جعبته، بل لأنه كان يأمل أن يعود فى اليوم التالى ومعه نصف دستة شوكٍ فضية على الأقل.

وليكن مفهوما، بهذه المناسبة، أن الجيش الفرنسى لم يكن يشن حربا على الإيطاليين. وإنما جاء إليهم ليخلصهم من جور غزاتهم النمساويين، وليرسى لديهم النظام الجمهورى، ومن ثم فهو إذ يمضى فى نهبهم فإنما يفعل ذلك بدافع من الصداقة التى تبيح للصديق حرية التصرف فى مقتنيات أصدقائه الذين يجدر أن يكونوا له شاكرين، وإن كان الإيطاليون لا يفعلون ذلك لما عرفت به بلادهم من نكران الجميل. أما النمساويون الذين يحاربهم الجيش الفرنسى فهم جيش محترم ونظامى إلى أبعد الحدود، حسن التدريب، يقوده سادة ضليعون فى الفنون التقليدية لقيادة الحملات، وعلى رأسهم بواليو، ممارسا الفن التقليدى للحرب، خاضعاً لأوامر ڤيينا، ولكنه لقى مع ذلك هزيمة

مروعة من نابليون الذى كان يتصرف تحت مسئوليته الخاصة ضاربا عرض الحائط بسوابق المهنة العسكرية وبالأوامر الصادرة إليه من باريس. وحتى عندما كان النمساويون يكسبون معركة فما كان الأمر يستدعى من الفرنسيين سوى انتظار عودتهم إلى ثكناتهم، حسب تقاليدهم لتناول شاى ما بعد الظهيرة، إن صح هذا التعبير، وعندئذ يستردون منهم ما سبق أن كسبوه، وهو السبيل الذى انتهجه نابليون أيضا فيما بعد، بنجاح باهر فى مارنجو. وعلى وجه الإجمال فقد وجد نابليون أن من المستطاع، إزاء عدو مكبل بأغلال السياسة النمساوية، والقيادة العسكرية العتيقة، ومقتضيات مجتمع فيينا الارستقراطى التركيب، أن يصبح لا يقاوم بدون كبير حاجة إلى إتيان معجزات بطولية. على أن العالم، على أى حال، يعشق المعجزات والأبطال، وهو جد غير قادر على التقليل من نفوذ قوى مثل العسكرية الأكاديمية وصالونات فيينا. ومن ثم فقد بدأ العالم يصنع «الإمبراطور» ويجعل بالتالى من الصعب على الرومانتيكيين اللاحقين بعد مائة عام أن يثقوا فى صدق هذا المشهد الصغير الذى لم يسجله التاريخ والذى نحن بصدده الآن فى تافازانو.

وأحسن الأحياء فى تافازانو هو ذلك الذى يوجد فيه خان صغير، يقوم عند أول الطريق الذى يمر به المسافرون المارون بالمدينة من ميلانو إلى لودى. ويحيط بالخان فناء من الكرم، وتعتبر حجرته الرئيسية ملاذا لطيفا من حر الصيف، وتنفتح على مصراعيها من الخلف إلى ذلك الفناء حتى ليكاد يكون شرفة كبيرة للحجرة. وقد نما إلى علم من هم أكثر جسارة من الأطفال، الذين أثارتهم هجمات وغارات الأيام القليلة الماضية واندفاع الفصائل الفرنسية إلى بلدتهم فى الساعة السادسة، أن القائد الفرنسى قد اتخذ تلك الحجرة مقرا له، فتنازعتهم رغبة ملحة فى استراق النظر من النوافذ الأمامية، ورعب مميت من ديدبان الحراسة، وهو جندى شاب دمث الطباع، رسم له أمباشيه بدهان الأحذية الأسود شاربا على غاية من البشاعة فى موضع الشارب الطبيعى الذى لم ينبت لديه. ولما كانت حلته الثقيلة التى صممت كمثيلاتها من الحلل العسكرية فى ذلك العهد، للاستعراضات العسكرية، دون أدنى وزن لصحته أو راحته، فقد راح يتصبب عرقا بغزارة فى قيظ الشمس، مما جعل طلاء شاربه يسيل فى قنوات صغيرة عبر ذقنه وحول عنقه، اللهم إلا حيثما لحقه الجفاف فى مواضع متناثرة، فبدا كخلجان

وجزر دقيقة غريبة الشكل، جاعلة منه فى عين التاريخ مبعثا لسخرية الجيل اللاحق. ولكنه بدا بشعا مثيرا للرعب فى قلوب أطفال شمال إيطاليا فى ذلك الوقت، الذين كان من الطبيعى أن يقوم فى روع أى واحد منهم احتمال أن يرفه الحارس عن ضجره بأن يرفع بحربة بندقيته طفلا ضالا إلى فمه ويلتهمه نيئا. ومهما يكن من الأمر فإن فتاة من سيئات السلوك، وقد بدأت تعتمل فيها الرغبة فى إغراء الجند، عمدت إلى اختلاس النظر من خلال آمن النوافذ لبرهة قبل أن يرشقها الحارس بنظرة ويوجه إليها حركة تجعلها تولى الأدبار. وأغلب ما وقع عليه نظرها سبق لها أن رأته من قبل، فناء الكرم فى الخلف، وقد توسطت الكرم معصرة العنب وعربة يد، الباب المغلق فى الناحية اليمنى المؤدى إلى مدخل الشارع، وعلى ذات الجانب إلى الداخل أفضل بوفيهات صاحب الخان على قدم وساق لوجبة الغداء، والمدفأة على الجانب المقابل وإلى جانبها أريكة وبين الأريكة وفناء الكرم يقوم باب آخر، يؤدى إلى الغرف الداخلية والمائدة فى وسط الحجرة صفت عليها صنوف الطعام، من لحم، وجبن، وعنب، وخبز، وزيتون، وقنينة كبيرة من النبيذ الأحمر.

وهى تعرف جيدا صاحب الخان، جوزيبى جراندى. الرجل

الأسمر النشيط المرح حاضر البديهة ، ذو الرأس المستدير، والخصلات السوداء. والثغر المبتسم، والبالغ من العمر أربعين عاما. وما من شك فى أنه مضيف ممتاز، إلا أنه فى هذا المساء بالذات يتمتع بروح جد عالية لما حباه حظه السعيد من نزول القائد الفرنسى فى ضيافته إذ فى ذلك حماية له من إسفاف الجنود. ومن ثم فهو فى هذه الساعة يستعرض زوجا من الأقراط الذهبية، التى كان سيخفيها بحرص، لولا ذلك، مع مجموعة أوانيه الفضية تحت معصرة النبيذ. أما نابليون الجالس قبالتها عند الجانب الأبعد من المائدة فهذه أول مرة تراه فيها وهو جد منكب تارة على التهام طعامه الذى اكتشف كيف يأتى عليه فى ظرف عشر دقائق وذلك بأن ينقض على الأطباق جميعها فى آن واحد. ولقد كانت عادته هذه أول الطريق إلى خرابه، وتارة على خريطة عسكرية يعلِّم مواقع القوات عليها، وذلك بأن كان يأخذ قشرة عنب من فمه ويرشفها بإبهامه على الخريطة وليس فى ملبسه أو مظهره أى إهمال ينبىء عن ثوريته. على أن مرفقه قد أزاح أغلب الأطباق والأكواب من موضعها، ويتهدل شعره الطويل فى طبق اللحم عندما يغفل عنه. ويزداد انكبابه فى استغراق على الخريطة.

جوزيب : هل يا صاحب العظمة...

نابليون : (منكبا على خريطته، بينما يستعمل يده اليسرى آليا في الأكل بنهم) لا تتكلم. إني مشغول.

جوزيب : (ببشاشة تامة) سمعا وطاعة يا صاحب العظمة.

نابليون : أريد بعض المداد الأحمر .

جوزيب : أسفا، يا صاحب العظمة، ليس لدينا قطرة منه.

نابليون : (مازحا) اقتل شيئا، واجلب لي دمه.

جوزيب : (مفتر الثغر) لا يوجد هنا سوى جواد عظمتك والخفير والسيدة المقيمة بالطابق العلوي وزوجتي.

نابليون : اقتل زوجتك.

جوزيب : بكل ترحيب، يا صاحب العظمة. ولكن للأسف لست في قوتها، إنها ستتغلب عليّ وتقتلني هي.

نابليون : سيفي هذا بالغرض أيضا.

جوزيب : إن عظمتك تزيدني شرفا (مادا يده إلى القنينة) ربما يفي بعض النبيذ بالمقصود.

نابليون : (مسارعا إلى حماية القنينة ومتخذا مَظهر الجد) نبيذ! كلا، هذا تبذير . إنكم جميعا سواء، مبذرون! مبذرون! مبذرون! (يؤشر على الخريطة بالصلصة مستخدما شوكة الأكل بدلا من ريشة الكتابة) ابتعد (يفرغ من شرب نبيذه، ويدفع مقعده إلى الخلف)، ويستعمل منشفته، مادا ساقيه ومتكئا إلى الوراء، ولكنه يظل مقطبا ومستغرقا فى التفكير).

جوزيب : (منظفا المائدة ومزيلا الأشياء إلى صينية على البوفيه) كل حسب حرفته، يا صاحب العظمة. نحن أصحاب الخانات لدينا الكثير من النبيذ الرخيص، ولا نأبه لإراقته، أما أنتم أيها القادة الكبار فعندكم الكثير من الدماء الرخيصة، ولا تأبهون بدوركم لإراقتها. أليس كذلك يا صاحب العظمة ؟.

نابليون : الدماء لا تكلف شيئا، أما النبيذ فيكلف مالا . (ينهض ويذهب إلى المدفأة).

جوزيب : يقولون إنك حريص على كل شيء ماعدا الحياة الإنسانية، يا صاحب العظمة.

نابليون : الحياة الإنسانية، يا صاحبى، هى الشيء الوحيد الذى

يتكفل بالحرص على نفسه بنفسه (يلقى بنفسه فى تراخ على الأريكة).

جوزيب : (متأملا إياه بإعجاب) آه. يالنا جميعا من بلهاء إلى جانبك، يا صاحب العظمة. آه لو أمكننى أن اكتشف سر نجاحك !.

نابليون : لجعلت نفسك إمبراطورا لإيطاليا ، ايه ؟

جوزيب : لا ، هذا شىء متعب جدا يا صاحب العظمة. إننى أترك كل ذلك لك. ثم ماذا سيصبح أمر خانى لو أضحيت إمبراطورا؟ انظر كيف تتمتع عظمتك بإرادتى للخان وقيامى على خدمتك ! حسنا، سأتمتع أنا بالتطلع إليك بينما تصبح أنت إمبراطورا لأوربا، وتحكم البلد من أجلى. (يرفع غطاء المائدة بمهارة أثناء ثرثرته دون أن يزيح الخريطة، وفى النهاية يتناول أركان الغطاء بيديه ووسطه بفمه ليطويه).

نابليون : إمبراطور أوربا، ايه ؟ ولماذا أوربا فقط ؟

جوزيب : لماذا، حقا ؟ إمبراطورا للعالم، يا صاحب العظمة! لم لا؟ (يطوى الغطاء ثم يلفه، مؤكدا عباراته بخطوات استعراضية) رجل واحد مثل غيره (يطوى الغطاء) بلد

واحد مثل غيره (يطوى الغطاء) معركة واحدة مثل غيرها (وعند الطوية الأخيرة يلقى الغطاء على المنضدة ويلفه بمهارة) اهزم واحداً، تهزم الجميع (يأخذ الغطاء إلى الدولاب الجانبى ويضعه فى أحد الأدراج).

نابليون : وأن أحكم من أجل الجميع، وأحارب من أجل الجميع، وأكون خادم الجميع تحت ستار كونى سيد الجميع، يا جوزيب .

جوزيب : (إلى جوار الدولاب الجانبى) نعم يا صاحب العظمة.

نابليون : أنا أمنعك من أن تحدثنى عن نفسى.

جوزيب : (مقتربا من طرف الأريكة) معذرة. عظمتك لست كسائر العظماء إذ إنه أحب الموضوعات إليهم.

نابليون : حسنا، حدثنى عن ثانى الموضوعات التى يحبونها، أيا كان هذا الموضوع.

جوزيب : (فى غير ما خجل) أمرك يا صاحب العظمة. هل تصادف أن وقع نظر عظمتك على السيدة التى بالدور العلوى؟

نابليون : (معتدلا فى جلسته على الفور) ما هو سنها ؟

جوزيب : السن الصحيح، يا صاحب العظمة.

نابليون : هل تعنى سبعة عشر أم ثلاثين ؟

جوزيب : ثلاثين يا صاحب العظمة.

نابليون : حسنة المظهر !

جوزيب : لا أستطيع أن أرى بعينى عظمتك، لكل رجل حكمه الخاص. فى رأيى، يا صاحب العظمة، أنها تبدو امرأة جميلة (بخبث) هل أعد المائدة لطعامها هنا ؟

نابليون : (ناهضا بحدة) كلا، لا تعد شيئا هنا حتى يعود الضابط الذى أنا فى انتظاره (ينظر إلى ساعته، ويأخذ فى المشى جيئة وذهابا بين المدفأة والكرمة).

جوزيب : (بيقين) يا صاحب العظمة، صدقنى، لقد أسره النمساويون الملاعين. إنه لا يجرؤ على تركك تنتظره إذا كان حرا.

نابليون : (مستديرا عند حافة ظلال الشرفة) جوزيب، لو تبين أن هذا صحيح فسيحيلنى إلى شعلة من الغضب لن يفيد فى إخمادها سوى شنقك، أنت وجميع من فى دارك، بمن فيهم السيدة التى بالطابق العلوى.

جوزيب : إننا جميعا رهن تصرفك، راضون، يا صاحب العظمة، ماعدا السيدة، فأنا لا أستطيع الإجابة نيابة عنها.

ولكن لا يمكن لسيدة أن تقاومك أيها الجنرال.

نابليون : (يستأنف سيره حانقا) هم ! لن تشنق. ليس هناك متعة فى شنق رجل لا يعارض فى ذلك.

جوزيب : (مشاركا إياه شعوره) ليس هناك بالمرة، يا صاحب العظمة، أهناك أدنى متعة فى ذلك؟ (نابليون يعاود النظر إلى ساعته، وقد بدأ يبدو عليه القلق) آه، إن المرء يمكنه أن يرى أنك رجل عظيم ، يا جنرال إنك تعرف كيف تنتظر. لو كان الأمر الآن أمر أومباشى أو ملازم ثان لأخذ بعد ثلاث دقائق يرغى ويزبد ويلعن ويقلب البيت على رؤوسنا.

نابليون : جوزيب ، إن مدائحك لا تحتمل. اذهب وثرثر خارجا. (يعود إلى الجلوس إلى المنضدة مسندا فكيه إلى راحتيه، ومرفقيه على الخريطة، متفرسا فيها، مهموم الملامح).

جوزيب : أمرك، يا صاحب العظمة، سوف لا أزعجك (يأخذ الصينية ويهم بالانسحاب).

نابليون : بمجرد حضوره ابعث به إلىّ.

جوزيب : بلا أدنى تأخير، يا صاحب العظمة.

(صوت سيدة فيه رنة موسيقية ينادى من مكان قصى عن الخان) جوزيب.

نابليون : (مباغتا) من هذا ؟

جوزيب : السيدة ، يا صاحب العظمة.

نابليون : السيدة المقيمة بالطابق العلوى؟

جوزيب : أجل، يا صاحب العظمة، السيد الغريبة .

نابليون : الغريبة ؟ من أين أتت ؟

جوزيب : (هازا كتفيه متشككا) من يدرى؟ لقد وصلت هنا قبيل حضورك، يا صاحب العظمة، فى عربة أجرة بمفردها، يا صاحب العظمة، بلا خدم ولا حشم ومعها فقط حقيبة يد وصندوق ملابس. ويقول الحوذى إنها خلفت وراءها بمحطة القيام جوادا ذا سرج عسكرى.

نابليون : امرأة بجواد ذى سرج عسكرى ! أفرنسية هى أم نمساوية ؟

جوزيب : فرنسية ، يا صاحب العظمة.

نابليون : جواد زوجها، بلا شك . قتل فى معركة لودى، يا للمسكين .

صوت السيدة : (بحزم) جوزيب !

نابليون : (ينهض ليصغى) هذا ليس صوت سيدة قتل زوجها أمس.

جوزيب : الأزواج ليسوا دائما مأسوفا عليهم، يا صاحب العظمة. (مجيبا) قادم، يا سيدتى، قادم (يتجه إلى الباب الداخلى).

نابليون : (يلقى قبضته القوية على كتفه) قف . دعها تأتى إلى هنا.

السيدة : (وقد نفد صبرها) جوزيب !!

جوزيب : دعنى أذهب، يا صاحب العظمة. إن شرفى كصاحب خان يقتضينى أن ألبى النداء. إنى أستحلفك بالله كجندى.

صوت رجل : (صائحا فى الخارج عند باب الخان) ألا يوجد أحد هنا. هولو! يا صاحب الخان ! أين أنت ؟ (يدق شخص بشدة على دكة فى الطرقة بقبضة سوط).

نابليون : (فجأة، يعود إلى اتخاذ مظهر القائد مرة أخرى، ويتخلى عن جوزيب) وصل رجلى فى النهاية . (مشيرا الى الباب الداخلى) اذهب. وباشر عملك . السيدة تناديك. (يذهب إلى المدفأة، ويقف موليا ظهره إليها

في مظهر عسكرى حازم).

جوزيب : (مبهور الأنفاس، يخطف صينيته) مؤكد، يا صاحب العظمة (ويهرول خارجا من الباب الداخلى).

صوت الرجل : (وقد عيل صبره) هل أنتم نيام جميعا هنا ؟

(يركل الباب الآخر فجأة فينفتح بعنف. ويندفع إلى داخل الغرفة ملازم ثان مغبر. وهو شاب طويل القامة. بليد الإحساس فى الرابعة والعشرين من عمره، يبدو عليه طابع الجاه والخيلاء، ممن فشلت الثورة الفرنسية فى كبح جماحهم. ذو شفة غليظة بلهاء، ونظرة غريرة متلهفة، وأنف عنيد، وصوت عال وقح. شاب بلا وجل ولا احترام ولا تفكير ولا إحساس. لا أمل فى أن يفهم الفكرة النابليونية أو أية فكرة أخرى. صارخ الأنانية. أهل، عن جدارة، أن يندفع إلى حيثما تخشى الملائكة أن تطأ أقدامها. قدير على الزج بنفسه فى المتاعب، والتخبط فيها، دون أن يعرف له منها مخرجا. وهو فى هذه اللحظة يغلى من الغـيظ الذى يمكن للنظرة السطحية أن تعزوه إلى فراغ صبره من عدم استقبال خدم الخان له الاستقبال اللائق، ولكن النظرة المدققة

إليه يمكن أن تكتشف سببا نفسيا أعمق من ذلك.
وعندما يرى نابليون تقعده المباغتة عن ضبط النفس والتحية، ولكن سلوكه لا ينم عن أى إحساس من ناحيته بالقداسة التى أضفتها على نابليون مواقفه فى مارينجو وأوسترليدز وواترلو وسانت هيلانه. ولا للصورة المهيبة التى رسمها له ديلاروش وميسونيه، والتى تخيلته عليها الأجيال اللاحقة).

نابليون : (وساعته فى يده) حسنا، يا سيد، لقد حضرت أخيرا. كانت التعليمات تقضى أن أحضر هنا فى السادسة وأجدك فى انتظارى ومعك البرقيات ورسائلى من باريس. والساعة الآن الثامنة وعشرون دقيقة. لقد أرسلت فى هذه المهمة باعتبارك فارسا شديد المراس ومعك أسرع الجياد فى المعسكر وتصل مائة دقيقة متأخرا عن ميعادك وعلى قدميك، أين جوادك ؟

الملازم : (يخلع فى كآبة قفازيه وقبعته ويلقى بها مع سوطه على المنضدة) آه أين هو حقا؟ يا چنرال هذا بالضبط ما أود أن أعرفه (بتأثر) إنك لا تدرى كم كنت شغوفا بذلك الجواد.

نابليون : (بتهكم غاضب) حقا! (بتشكك مفاجىء) أين الخطابات والبرقيات ؟

الملازم : (باهتمام، وأميل إلى السرور من أى شىء آخر لما يحمله من أخبار جديرة بالاعتبار) لا أدرى ؟

نابليون : (غير قادر على تصديق أذنيه) لا تدرى!

الملازم : علمى علمك، يا چنرال. والآن إنى افترض أننى سأقدم للمحاكمة العسكرية. حسنا، لا تهمنى المحاكمة العسكرية، ولكن (بتأكيد جازم) أخبرك يا چنرال، لو قدر لى وأمسكت بذلك الحدث البرىء المظهر، فسأشوه جماله، ذلك الكذاب الصغير المشوق سأجعل منه عبرة. سأ...

نابليون : (متقدما من المدفأة إلى المائدة) أى حدث برىء المظهر؟ تمالك نفسك، يا سيد، لو سمحت، وأحك ما حصل لك.

الملازم : (موجها إياه من الجانب المقابل للمائدة مرتكنا إليها براحتيه) أوه، أنا بخير، يا چنرال. وأنا على أتم الاستعداد لأن أسرد ما حصل لى. سأجعل المحكمة العسكرية تفهم تماما أن الغلطة ليست غلطتى. لقد استغل الجانب الطيب من طبيعتى، ولست خجلا من

ذلك. ولكن مع كل احترامى لك كقائدى، يا جنرال، أقول مرة أخرى إنه لو قدر ووقع بصرى على ابن الشيطان ذاك سأ.....

نابليون : (غاضبا) لقد قلت ذلك من قبل.

الملازم : (منتصبا) إنى أقوله مرة أخرى. فقط ، انتظر حتى أمسك به. فقط انتظر. هذا، كل ما فى الأمر (يشبك ذراعيه فى إصرار ويستنشق بمشقة، زاما شفتيه).

نابليون : أنا فى الانتظار، يا سيد. فى انتظار إيضاحاتك.

الملازم : (فى ثقة) ستغير رأيك، يا جنرال عندما تسمع ماذا حدث لى.

نابليون : لم يحدث لك شىء يا سيد، أنت حى ومكتمل القوى. أين الأوراق التى عهد بها إليك ؟

الملازم : لم يحدث لى شىء ! لا شىء ! لقد أقسم معى يمين الأخوة الأبدية. هل كان ذلك لا شىء؟ لقد قال إن عينى تذكرانه بعينى أخته. هل كان ذلك لا شىء؟ لقد بكى - فعلا بكى - عندما سردت عليه قصة انفصالى عن انجيليكا. هل كان ذلك لا شىء ؟ لقد دفع ثمن زجاجتى النبيذ لى وله مع أنه شخصيا لم يأكل إلا

خبزا وعنبا. من الجائز أن تسمى ذلك لا شىء. لقد أعطانى مسدسيه وجواده وبرقياته - برقيات على جانب كبير من الأهمية - وتركنى أرحل بها. (بلهجة المنتصر بعد أن أحال نابليون إلى حالة من الذهول الأجوف) هل كان ذلك لا شىء ؟

نابليون : (وقد وهنت قواه من الدهشة) من أجل ماذا فعل ذلك ؟

الملازم : (وكأن السبب كان واضحا) ليدلل لى على ثقته فى طبعا. (نابليون فاغر الفم) وكنت جديرا بثقته، فقد جلبتها معى كلها بأمانة. ولكن هل تصدق ذلك ؟ عندما وثقت فيه بإعطائه مسدسيى وجوادى وبرقياتى...

نابليون : من أجل ماذا، بحق الشيطان، فعلت ذلك ؟

الملازم : سأخبرك، لأدلل له على ثقتى فيه. ولقد خانها ونقض العهد ! واستغفلنى! ولم يعد مرة أخرى! اللص ! النصاب ! الوغد الصغير الخائن عديم القلب ! أعتقد أنك تسمى ذلك لا شىء. ولكن انظر، أيها الجنرال (مرتكنا مرة أخرى بقبضتيه على المائدة زيادة فى التأثير) قد تنتهى من هذه العاصفة التى شننتها على النمساويين إذا أردت، ولكننى أتكلم شخصيا عن

نفسى، فأقول لك إننى لو ، فى وقت ما ، أمسكت ...

نابليون : (يستدير على عقبه فى اشمئزاز ويواصل سيره بعصبية جيئة وذهابا) نعم: لقد قلت ذلك أكثر من مرة من قبل.

الملازم : (غاضبا) أكثر من مرة! إنى سأقول ذلك خمسين مرة، وأكثر من ذلك سأفعل ما أقوله. سترى، يا جنرال. سأدلل على ثقتى فيه. هذا ما أعتزمه. سأ....

نابليون : نعم، نعم، يا سيد ، ما من شك فى أنك ستفعل. أى نوع من الرجال كانٍ هو ؟

الملازم : حسنا، أعتقد أنك قادر على أن تتبين، من سلوكه، أى نوع من الرجال كان ؟

نابليون : (بازدراء) ماذا كان شكله ؟

الملازم : شكله ! إنه كان يشبه ... حسنا، حسنا، كان فقط يجدر أن ترى الشخص. لقد كان ذلك يعطيك فكرة عما كان عليه شكله. ولن يكون عليَ شكله ذاك عقب خمس دقائق من إمساكى به، لأنى أقول لك إنه لو قدر...

نابليون : (مناديا بغضب على صاحب الخان) جوزيب (موجها الحديث إلى الملازم وقد نفد صبره) أمسك لسانك، يا

سيد، إذا أمكنك.

الملازم : (شاكيا) أحذرك من أنه لا جدوى من محاولة وضع اللوم عليّ. كيف كان فى مقدورى أن أعرف أى ضرب من الرجال هو (يأخذ مقعدا من بين الدولاب الجانبى والباب الخارجى، ويضعه بجوار المنضدة، ويجلس عليه) فقط لو عرفت كم أنا جائع وتعب، لزاد ذلك من اعتبارك.

جوزيب : (عائدا) ما الأمر، يا صاحب العظمة ؟

نابليون : (مغالبا غضبه) خذ هذا - هذا الضابط . أطعمه، وضعه فى الفراش اذا لزم الأمر. وإذا عاد إلى صوابه مرة أخرى تقص عما حصل له وأخبرنى (إلى الملازم) اعتبر نفسك مقبوضا عليك، يا سيد.

الملازم : (بلهجة خشنة وتجهم) لقد كنت مستعدا لذلك. إن الجنتلمان يفهم الجنتلمان. (يلقى سيفه على المنضدة).

جوزيب : (باهتمام عطوف) هل اعتدى عليك النمساويون أيها الملازم ؟ يا مسكين ! يا مسكين ! يا مسكين !

الملازم : (باحتقار) اعتدى عليّ! لقد كنت قصمت ظهره بين سبابتى وإبهامى. كم أود لو كنت قد فعلت ذلك. كلا،

لقد كان بالاستجابة إلى الجانب الأحسن من طبيعتى، هذا ما لا يمكننى التجاوز عنه. لقد قال إنه لم يقابل قط رجلا أحبه بقدر ما أحبنى. لقد طوق عنقى بمنديله لأن بعوضة قد عضتنى، وقد كانت ياقتى تلهب موضع العضة. انظر (ينتزع منديلا من ثنايا ياقته، يأخذه جوزيب ويتفحصه).

جوزيب : (إلى نابليون) منديل نسائى، يا صاحب العظمة. (يشمه) معطر.

نابليون : إيه ؟ (يأخذه وينظر إليه بامعان) هم! (يشمه) ها! (يسير مفكرا عبر الحجرة متأملا المنديل الذى يضعه فى النهاية فى صدر سترته).

الملازم : إنه يناسبه، على أى حال. لقد لاحظت أن يديه كانتا يدى امرأة عندما مس عنقى بأساليبه التزلفية التملقية. ذلك الكليب المخنث الوضيع (مخفضا صوته بتركيز مثير) ولكن، تذكر قولى، يا جنرال، لو قدر ...

صوت السيدة : (من الخارج، كما فى بادئ الأمر) جوزيب.

الملازم : (متحجرا) ماذا كان ذلك ؟

جوزيب : فقط سيدة بالطابق العلوى، أيها الملازم، تنادينى.

الملازم : سيدة !

الصوت : جوزيب، جوزيب، أين أنت ؟

الملازم : (متعطشا للقتل) أعطنى ذلك السيف (يخطف السيف ويشهره).

جوزيب : (يندفع إلى الأمام ممسكا بذراعه الأيمن) فيما تفكر، أيها الملازم ؟ إنها سيدة : ألا تسمع ؟ إنه صوت سيدة.

الملازم : إنه صوته، أقول لك. دعنى أذهب . (ينفلت منه مندفعا إلى حافة الشرفة حيث يتخذ مركزه وسيفه فى يده، ويرقب الباب كما يرقب القط جحر الفأر.

يفتح الباب، وتدخل منه السيدة الغريبة. طويلة ورشيقة بشكل غير مألوف، وذات وجه مرهف التقاطيع، ذكى الملامح وتدل كلها على العمق والأصالة وطيب المنبت. ذات أنوثة بلا أدنى ضعف. رشيقة القد ولكن قوية البنيان. فى يديها وقدميها وعنقها ومنكبيها تبدو القوة والحيوية ولكن فى تناسب مع قوامها الفارع الذى يتجاوز طوله كلاً من نابليون وصاحب الخان، ولا يقل عن قوام الملازم. على أن رشاقتها وحلاوتها الوضاءة

هى التى تخفى ضخامتها وقوتها. وهى لا تبدو بحسب ملبسها، من المهتمات بآخر تطورات الموضة، أو لعلها تستخدم أحد أرديتها القديمة فى السفر فرداؤها من الحرير المشجر متدل عند الوسط ذى انبعاجة من الخلف ولكنها تبدو متهدلة نظرا لطول قامتها، ذى فتحة واسعة عند العنق حليت بشال سكرى اللون، ولقد بدت السيدة جميلة بشعرها الذهبى الداكن وعينيها الرماديتين.

تدخل معتزة بنفسها اعتزاز المرأة ذات الحسب والجمال. وتقابل بالتقدير العميق من صاحب الحان، المهذب بطبعه. ويزداد نابليون توترا ويقتم لونه ويزايله هدوؤه. وتتقدم السيدة صوبه فى لباقة وأدب لتؤدى له واجب الاحترام عندما يقفز الملازم إليها ويمسك بمعصمها الأيمن. فيصفر وجهها عندما تتعرف عليه ولا يخطئ أحد فى تبين تعبيراتها: إذ قد أرعبها اكتشافها أنها قد ارتكبت هفوة قاتلة لم تكن تتوقعها بالمرة فى غمرة الأمن والطمأنينة والانتصار. ثم تعتريها سورة من الحنق ويندفع الدم قانيا ليكسو

وجهها بل وليكسو جسدها كله لفرط أن الملازم عديم
الملاحظة عادة قد أدرك أن فى الأمر شيئا. فيخاطبها
فى صيحة الانتصار مفسرا ذلك الاحمرار بأنه
اعتراف غير إرادى من جانب المخادع عندما يقع فى
قبضة ضحيته) :

الملازم : وهكذا وضعت يدى عليك أيها الصبى. لقد تنكرت إذن.
أليس كذلك ؟
(فى صوت كالرعد، تاركا معصمها) اخلع تلك
الجونلة.

جوزيب : (مؤنبا) أوه، أيها الملازم !

السيدة : (مرتعبة ولكنها جد غاضبة لتجاسره على لمسها)
سيدى. أتوجه إليك (إلى نابليون) إنك ضابط، چنرال.
إنك ستحمينى أليس كذلك ؟

الملازم : لا تأبه له يا چنرال. دعنى أتصرف معه.

نابليون : معه ؟ مع من يا سيد . لماذا تعامل هذه السيدة بهذه
الطريقة ؟

الملازم : سيدة ! إنه رجل ! الرجل الذى وضعت فيه ثقتى (رافعا
سيفه) هاك، يا ....

السيدة : (تجرى وتحتمى بنابليون. وفى اضطرابها تضم إلى صدرها الذراع التى يمدها أمامها لحمايتها) أوه، أشكرك يا چنرال. أبقه بعيدا.

نابليون : هراء، يا سيد . هذه ولا شك سيدة . (فجأة تترك ذراعه ويحمر وجهها) وأنت مقبوض عليك. انزل سيفك يا سيد، فورا.

الملازم : چنرال : أقول لك إنه جاسوس نمساوى. لقد أوهمنى أنه أحد رجال الچنرال ماسينا بعد ظهر اليوم، والآن يريد إيهامك بأنه سيدة. هل أصدق عينى أم لا ؟

السيدة : چنرال : لابد أنه أخى. إنه فى خدمة الچنرال ماسينا . إنه يشبهنى جدا.

الملازم : (وقد تبلبلت أفكاره) هل تعنى أن تقول إنك لست أخاك، بل أختك ؟ الأخت التى كانت تشبهنى؟ التى كان لها العينان الزرقاوان الجميلتان؟ هذه فرية : عيناك لا تشبهان عينىَّ : إنها مثل عينيك تماما.

نابليون : (متمالكا غضبه) أيها الملازم، هل أطعت أوامرى وغادرت الغرفة. مادامت اقتنعت فى النهاية أنها ليست رجلا.

الملازم : رجلا ! أعتقد العكس. لو كان رجلا لما خان ثقـ ....

نابليون : (وقد جاوز حدود كل صبر) كفى،.يا سيد : هل تسمع؟ هلا تركت الغرفة ؟ إنى آمرك بترك هذه الغرفة.

السيدة : أووه، أرجو أن تتركنى أذهب بدلا منه.

نابليون : (بجفاء) معذرة، يا سيدتى. مع كل احترامى المحتمل لأخيك، فأنا لا أفهم بعد ماذا يريد ضابط من رجال الچنرال ماسينا من رسائلى. إن لدى بعض الأسئلة التى أريد أن أوجهها إليك.

جوزيب : (بحصافة) تعال، أيها الملازم، (يفتح الباب).

الملازم : إنى خارج يا چنرال.. إنى أحذرك: احترس من الجانب الطيب من طبيعتك. (إلى السيدة) سيدتى : أقدم اعتذارى. لقد اعتقدت أنك نفس الشخص ولكن من الجنس الآخر ، وذلك بطبيعة الحال قادنى إلى الخطأ.

السيدة : (ببشاشة) إنه لم يكن خطأك، أليس كذلك ؟ أنا مسرورة. إنك لم تعد غاضبا منى أيها الملازم (تقدم له يدها).

الملازم : (ينحنى بأدب ليقبلها) أوه، يا سيدتى، بلا أدنى... (مرتدا وناظرا إليها) إن لك يد أخيك. ونفس الخاتم !

السيدة : (بعذوبة) إننا توأمان.

الملازم : إن هذا يفسر الأمر (يقبل يدها) ألف اعتذار. إننى لا آبه للبرقيات على الإطلاق، إن هذا يخص الجنرال أكثر منى. إنما آبه لاستغفالى خلال الجانب الأفضل من طبيعتى (يأخذ قبعته وقفازه وسوطه من على المنضدة ويذهب) إنك ستسمح لى بالانسحاب، يا چنرال، على ما أرجو. آسف جدا، بالتأكيد (يثرثر وهو خارج من الغرفة. يتبعه جوزيب ويغلق الباب).

نابليون : (ناظرا إليه بغضب شديد) غبى!

(تبتسم السيدة الغريبة بعطف. يمضى هو مقطبا عبر الغرفة ما بين المنضدة والمدفأة، وقد زايله الحرج وقد أضحى وحده مع السيدة).

السيدة : كيف أشكرك يا چنرال على حمايتك ؟

نابليون : (ملتفتا إليها بغتة) برقياتى، هيا ! (يمد يده فى طلبها).

السيدة : جنرال ! (تضع يدها فى حركة لا إرادية على صدرها كما لو كانت تحمى شيئا ما هناك).

نابليون : لقد خدعت ذلك الغبى وسلبتيها منه. لقد تنكرت فى زى

رجل. أريد رسائلى. إنها فى صدرك تحت يديك.

السيدة : (تزيح يديها بسرعة) أوه ! كم أنت قاس فى حديثك إلىّ (تخرج منديلها من بين نهديها) لقد أخفتنى (تمسح عينيها وكأنها تكفكف عنها دمعة).

نابليون : أرى أنك لا تعرفيننى، يا سيدتى، وإلا لوفرت على نفسك عناء التظاهر بالبكاء.

السيدة : (تبتسم من خلال دموعها). نعم، أعرفك. أنت الجنرال بواوناپارت الشهير (تنطق اسمه بلكنة إيطالية واضحة).

نابليون : (غاضبا، ومصححا نطقها لاسمه إلى النطق الفرنسى) بوناپارت، يا سيدتى ، بوناپارت. الأوراق لو سمحت.

السيدة : ولكن أؤكد لك .... (يخطف المنديل بعنف) چنرال ! (فى اشمئزاز).

نابليون : (يخرج المنديل الآخر من صدر ردائه) انك قد أعرت أحد مناديلك إلى ضابطى عندما سرقته (ينظر إلى المنديلين) يماثل أحدهما الآخر. (يشمهما) نفس التعبير. (يقذف بهما على المائدة) أنا فى انتظار رسائلى. سآخذها، إذا لزم الأمر، بإجراء صغير كما

أخذت المنديل.

السيدة : (بتأنيب غاضب). چنرال، هل تهدد امرأة ؟

نابليون : (بغلظة) أجل.

السيدة : (بارتباك، ومحاولة كسب الوقت) ولكننى لا أفهم. أنا...

نابليون : إنك تفهمين حق الفهم. لقد حضرت إلى هنا لأن أربابك النمساويين حسبوا أننى أبعد ستة فراسخ. أنا دائما أوجد حيث لا يتوقع أعدائى لقد سرت بنفسك إلى عرين الأسد. هيا ! إنك امرأة شجاعة. كونى عاقلة، ليس لدى وقت أضيعه. أعطينى الأوراق. (يتقدم خطوة مهددا).

السيدة : (تنتابها سورة من الوهن وتلقى بنفسها باكية على المقعد الذى خلفه الملازم إلى جوار المنضدة) أنا شجاعة ! ما أقل ما تعرفه عنى ! لقد أمضيت اليوم فى قلق وخوف. إنى أشعر بألم هنا إذ ينتفض قلبى من كل نظرة شك، وكل حركة تهديد. هل تعتقد أن الجميع فى مثل شجاعتك؟ أوه، لماذا لا تؤدون أنتم أيها الشجعان أعمال الشجاعة ؟ لماذا تتركونها علينا، نحن الذين لا شجاعة لنا على الإطلاق؟ لست شجاعة.

إنى أنكمش فرقا من العنف، ويجعلنى الخطر تعيسة .

نابليون : (فى اهتمام) لماذا إذن دفعت بنفسك إلى الخطر؟

السـيـدة : لأنه ليس ثمـة طريق آخـر : لا يمكننى أن أثق فى شـخص آخـر. والآن كل شىء لا جـدوى منه: كل ذلك بسببك أنت، يا من لا تعرف الخوف لأن لا قلب لك، ولا ترفق، ولا... (تنخـرط فى البكاء وتنكب على ركبتيـها) آه، يا چنرال، دعنـى أذهب، دعنى أذهب دون توجـيـه أية أسـئلة الىّ. ستكون لك برقـيـاتك وخطاباتك. إننى أقسم على ذلك.

نابليون : (مادا يده) نعم، أنا فى انتظارها.

(تلهث ، وقد أثبط موقف نابليون من همـتـها، وأحالها إلى يأس من فشل مراوغتـها فى صرفه عن إصراره. فتنظر إليه مرتبكة ومعملة فكرها لاستنباط خدعة ما لإثنائه. يقابل هو نظراتها بثبات).

السيدة : (ناهضة فى النهاية، متنهدة تنهيدة خفيفة) سأتيك بها. إنها فى حجرتى. (تستدير إلى الباب).

نابليون : سأرافقك، يا سيدتى.

السـيدة : (تقف مـعـترضـة) لا يمكننى السـمـاح لك، يا چنرال،

بدخول حجرتى.

نابليون : إذن، ستنتظريننى هنا، يا سيدتى، ريثما أفتش حجرتك، بحثا عن أوراقى.

السيدة : (بكمد، معلنة كفها عن متابعة خطتها) يمكنك أن تجنب نفسك الشقة. إنها ليست هناك.

نابليون : كلا : لقد سبق لى أن أخبرتك أين هى (مشيرا إلى صدرها).

السيدة : (فى توسل واستعطاف) يا جنرال.. فقط أريد أن أحتفظ بخطاب واحد خاص. واحد فقط . دعنى أحتفظ به .

نابليون : (ببرود وتجهم) هل هذا طلب معقول، يا سيدتى؟

السيدة : (وقد شجعها عدم رفضه الصريح). كلا : ولكن لهذا يجب أن تمنحنى إياه. هل طلباتك أنت معقولة؟ مئات الأنفس من أجل انتصاراتك، ومطامحك، ومصيرك! وما أطلبه أنا هو شىء صغير. ولست ألا امرأة ضعيفة، وأنت رجل شجاع (تنظر إليه بعينين مفعمتين بتوسل رقيق، وتهم بالركوع أمامه ثانية).

نابليون : (بغتة) انهضى، انهضى. (يستدير مقطبا ويذرع

الغرفة ثم يتوقف لحظة ليقول وقد أدار ظهره لها) إنك تخرفين، وأنت تعلمين ذلك.

(تجلس هى مستسلمة على الأريكة. وعندما يستدير ويرى يأسها وقنوطها يشعر بأن انتصاره كان كاملا ، فلا يجد بأسا من أن يعكف على مداعبة فريسته قليلا) كيف تعلمين أننى رجل شجاع ؟

السيدة : (مندهشة) أنت ! الچنرال بيوناپارت (النطق الإيطالى).

نابليون : نعم، أنا، الچنرال بوناپارت (ضاغطا على النطق الفرنسى للكلمة).

السيدة : أوه، كيف يمكنك أن تسأل مثل هذا السؤال؟ أنت! يا من وقفت منذ يومين لدى الكوبرى عند لودى، والجو مفعم بالموت من حولك، تخوض معركة مريرة بالمدافع عبر النهر! (مرتجفة) أوه، أنت تأتى أفعالا جريئة.

نابليون : وأنت كذلك.

السيدة : أنا ! (يخطر ببالها خاطر غريب) آوه ! هل أنت جبان ؟

نابليون : (يقهقه ضاحكا ويخبط ركبتيه بيديه). هذا هو السؤال الوحيد الذى لا يجب أن توجهينه لجندى. فالجاويش

يسأل نفر القرعة عن طوله، وسنه، ونفسه، وأطرافه، ولكن لا يسأله أبدا عن شجاعته.

السيدة : (وكأنها لم تجد المسألة جديرة بالضحك) آه، أنت تسخر من الخوف ، إنك لا تعرف إذن ما هو الخوف.

نابليون : خبريني. فلنفرض أنه كان يمكن أن تحصلى على ذلك الخطاب بمجيئك إلىّ. عبر الكوبرى عند لودى أول أمس ! فلنفرض أنه لم يكن أمامك ثمة طريق آخر، وأنه كان طريقا محققا - فقط لو كنت تفلتين من نيران المدافع. (ترتعد وتغطى عينيها لحظة بيديها) هل كنت تشعرين بالخوف ؟

السيدة : أوه، كنت سأشعر بخوف شديد، خوف مبرح. (تضغط بيديها على قلبها). إن مجرد تصوره يؤذينى.

نابليون : (بإصرار) هل كنت تحضرين من أجل الرسائل؟

السيدة : (وقد غلبها تصور الخوف) لا تسألنى. كان يجب علىّ أن أحضر.

نابليون : لماذا ؟

السيدة : لأنه كان يجب علىّ. لأنه لم يكن هناك ثمة سبيل آخر.

نابليون : (بيقين) لأنك كنت على رغبة فى الحصول على خطابى

كافية لتتغلبى على مخاوفك (ينهض فجأة ويتخذ بروية موقف الخطيب).

هناك عاطفة واحدة يشترك فيها الجميع : الخوف. فالصفة الوحيدة، من بين جميع الصفات التى قد يتصف بها الرجل، التى من المؤكد أن تجديها فى أحدث صبى عازف طبول فى جيشى كما تجدينها حتى فىّ هى الخوف. إنه الخوف الذى يجعل الرجال يحاربون. وعدم الاكتراث هو الذى يحملهم على الفرار: الخوف هو الدافع الأصلى إلى الحرب. الخوف! إنى أعرف الخوف جيدا أكثر منك، وأكثر من أية امرأة. لقد رأيت مرة فرقة من خيرة الجنود السويسريين تذبح فى پاريس بواسطة لفيف من الغوغاء، لأنى كنت خائفا من أن أتدخل. لقد أحسست، وأنا أرقب هذا المنظر بأنى جبان حتى أخمص قدمى، ومنذ سبعة أشهر انتقمت لعارى بسحقى تلك الغوغاء بقذائف المدافع حتى الموت حسنا، ماذا عن ذلك ؟ هل أثنى الخوف رجلا عن شيء عزم عليه حقا - أو حتى امرأة؟ أبدا. تعالى

معى، وسأريك عشرين ألف جبان يغامرون بحياتهم كل يوم من أجل ثمن قدح من البراندى. أو لا تعتقدين أن فى الجيش نساء أكثر استبسالا من الرجال، وإن كانت حياتهن أغلى؟ هراء؟ أنا لا أظن شيئا عن خوفك أو عن جسارتك. وإنما لو قدر عليك أن تحضرى إلىّ فى لودى لما أبقيت للخوف محلا فى قلبك: وبمجرد أن كانت قدماك تطآن الكوبرى لتلاشى كل شعور آخر أمام الحاجة - الحاجة - إلى شقك الطريق إلىّ للحصول على ما تريدين .

والآن ، فلنفرض أنك قد أفلت بسلام وفى يدك ذلك الخطاب مدركة أنه عندما أزفت الساعة لم يعصر فؤادك، بل قوى من تلهفك إلى بلوغ مرادك وأن الأمر لم يعد أمر خوف بل أمر قوة ودهاء وحذر وعزم من حديد! ماذا كان يصير جوابك على السؤال عما إذا كنت من الجبناء ؟

السيدة : (تهب واقفة) آه، إنك بطل ، بطل حقيقى.

نابليون : يوه ! ليس هناك بطل حقيقى . (يتمشى فى أنحاء الغرفة مستخفا بحماسها، وإن كان راضيا عن نفسه

لإثارته ذلك الحماس فيها).

السيدة : آه نعم، بل هناك. هناك فارق بين ما تسميه شجاعتى وشجاعتك. لقد أردت أن تكتسب معركة لودى لنفسك وليس لأحد سواك. أليس كذلك ؟

نابليون : بطبيعة الحال. (يراجع نفسه بغتة) صه : كلا (يلم شتات نفسه بورع كمن يترأس صلاة دينية) أنا لست إلا خادما لجمهورية فرنسا، اقتفى بتواضع أثر أبطال التاريخ القديم. أكسب المعارك من أجل الإنسانية : من أجل وطنى، لا من أجل نفسى.

السيدة : (قد خاب ظنها) أوه، إذن فأنت بطل نسائى ليس إلا . (تعود إلى الجلوس وقد زال حماسها).

نابليون : (فى دهشة بالغة) نسائى!

السيدة : (بفتور) نعم، مثلى. (بأسى عميق) هل تعتقد أننى لو أردت هذه الرسائل من أجلى فقط لكنت أجسر على المخاطرة بنفسى فى معركة من أجلها؟ كلا: إذا كان ذلك كل ما فى الأمر، لما وجدت الشجاعة لأن أسعى إلى مقابلتك فى فندقك. إن شجاعتى لا تعدو أن تكون عبودية. إنها لا تخدمنى لبلوغ أغراضى الخاصة. إنما

أنا أقوى على إتيان الأفعال التى تخيفنى فقط بدافع من الحب أو من الشفقة أو من غريزة الاندفاع إلى إنقاذ أو حماية الغير.

نابليون : (يتمتم باحتقار) هراء. (يبتعد عنها باستخفاف).

السيدة : أها ! إنك ترى الآن أننى لست شجاعة حقا. (تعود إلى فتورها) ولكن بأى حق تحتقرنى إذا كنت تكسب المعارك فقط من أجل الغير ؟ من أجل وطنك! بدافع من الوطنية ! هذا ما أسميه أعمالا نسائية : إنك على شاكلتك من الفرنسيين .

نابليون : (بغضب) أنا لست فرنسيا.

السيدة : (بسذاجة) ظننت إنك قلت إنك كسبت معركة لودى من أجل وطنك، يا جنرال بو - هل أنطقه بالإيطالية أم بالفرنسية؟

نابليون : إننى صابر على جسارتك. يا سيدتى. لقد ولدت رعية فرنسية ولكن ليس فى فرنسا.

السيدة : (مظهرة اهتمامها البالغ به) أعتقد أنك لم تولد رعية بالمرة.

نابليون : (بسرور بالغ) إيه ؟ إيه ؟ أتعتقدين ذلك ؟

السيدة : أنا متأكدة.

نابليون : حسنا، حسنا، ربما (تصل إلى مسامعه نبرات صوته المفعم بالغرور والرضاء عن نفسه فيتوقف مليا ويحمر خجلا ثم يتخذ موقفا وقورا مقلدا أبطال التاريخ القديم ويقول فى لهجة رزينة) ولكننا لا يجب أن نعيش من أجل ذواتنا فقط ، يا صغيرة، ولا يغرب عن بالك أننا يجب أن نفكر دائما فى الآخرين، وأن نعمل للآخرين، وأن نقودهم وأن نحكمهم من أجل خيرهم. إن نبل الشخصية يقوم على إنكار الذات.

السيدة : (تعود إلى الاسترخاء متنهدة بحسرة) آه، من السهل أن نرى أنك لم تحاول ذلك قط، يا جنرال.

نابليون : (باستنكار، ناسيا مواقف أبطال التاريخ القديم أمثال بروتوس وسيبيو) ماذا تعنين بهذا الكلام، يا سيدتى؟

السيدة : ألم تلاحظ أن الناس يبالغون دائما من قيمة الأشياء التى تنقصهم؟ الفقراء يعتقدون أنهم ليسوا فى حاجة إلى غير المال ليكونوا جد سعداء ومتمتعين. كل الناس يعبدون الحقيقة، والطهارة، وعدم الأنانية، لذات السبب، لأن هذه الأشياء ليست فيهم. ولكن آه، لو فقط

كانوا يعلمون !

نابليون : (باستهزاء غاضب) لو فقط كانوا يعلمون ؟ وهل أنت تعلمين من فضلك ؟

السيدة : نعم، لقد كان من سوء طالعى أن ولدت طيبة (ترفع بصرها إليه لحظة) ويمكننى أن أخبرك أنه من سوء الحظ، يا چنرال. أنى فى الحقيقة صادقة، وغير أنانية، وفىٌ غير ما شاكل ذلك من الصفات، وليس هذا إلا جبنا ونقصا فى الشخصية وعجزا عن إبراز ذاتيتى الحقيقية بقوة وإيجابية.

نابليون : ها ؟ (يلتفت إليها سريعا فى ومضة من الاهتمام الشديد).

السيدة : (بحيوية وبحماس متزايد) ما هو سر قوتك ؟ إنه إيمانك بنفسك وبأنك تستطيع أن تحارب وأن تنتصر من أجلك وليس من أجل أحد سواك. وأنك لست خائفا مما يخبئه لك القدر. إنك تعلمنا ما يمكن أن نكون عليه لو كانت لدينا العزيمة والشجاعة. وهذا (تركع فجأة على ركبتيها أمامه) هو السبب الذى يجعلنا جميعا نشرع فى تقديسك. (تقبل يديه).

نابليون : (متضايقا) تت ! تت ! انهضى من فضلك يا سيدتى.

السيدة : لا ترفض ولائى: إنه حقك. إنك ستكون إمبراطورا لفرنسا.

نابليون : (بسرعة) احترسى . هذه خيانة !

السيدة : (مصرة) نعم، إمبراطورا لفرنسا، ثم لأوروبا، ثم من الجائز للعالم. ولست إلا أول رعاياك أقسم لك يمين الولاء (تقبل يده مرة أخرى). يا إمبرطورى.

نابليون : (مغلوبا على أمره ينهضها) أرجوك ! أرجوك! لا ، لا . هذا جنون. هيا : اهدئى (يربت عليها) هيا ! هيا ! يا فتاتى.

السيدة : (تغالب دموع الفرح) نعم، إنى أعلم أنه من الصفاقة أن أخبرك بما تعلمه أحسن منى. ولكنك لست غاضبا منى. هل أنت ؟

نابليون : غاضب ! كلا، كلا، إطلاقا، إطلاقا. تعالى: فأنت امرأة ذكية ومرهفة الحس ومثيرة للاهتمام جدا (يربت على خدها) هل سنكون صديقين ؟

السيدة : (مفتونة) صديقتك؟ هل ستدعنى أكون صديقتك! أوه ! (تقدم إليه كلتى يديها وقد علتها ابتسامة عريضة).

انظر: ها أنا أدلل على ثقتى فيك.

(يفسر هذا الترديد غير الحذر لما قاله الملازم موقفها.

يجفل نابليون وقد ومضت عيناه. ويصيح هائجا).

نابليون : ماذا !!!

السيدة : ما الخطب ؟

نابليون : تدللين على ثقتك فى ! حتى أدلل لك أنا على ثقتى فيك بدورى وأدعك تفلتين بالرسائل ، إيه ؟ آه يا دليله، يا دليله، لقد كنت تجربين ألاعيبك على: وكنت أنا لا أقل غباء وبلادة عن ذلك الملازم الحمار. (مهددا) هيا : الرسائل. بسرعة. لن أخدع الآن.

السيدة : (تفر وراء الأريكة) چنرال...!

نابليون : بسرعة، أقول لك (يخترق الحجرة بسرعة إلى منتصفها ويعترض طريقها إلى فناء الكرم).

السيدة : (وقد أسقط فى يدها، مواجهة نابليون وقد انفجر غيظها) أتتجاسر على مخاطبتى بهذه اللهجة.

نابليون : أتجاسر !

السيدة : نعم تتجاسر. من أنت حتى تخاطبنى بهذه اللهجة الخشنة. أوه، لقد غلبت عليك طباع المغامر الكورسيكى

الفظ الشرير بكل سهولة.

نابليون : (وقد استشاط غضبا) أنت أيتها الشيطانة ! (بتوحش) للمرة الأخيرة. للمرة الأخيرة وحسب، هلا أعطيتنى تلك الأوراق أ سأقوم بانتزاعها منك ؟ عنوة!

السيدة : انتزعها منى، عنوة !

(بينما يرقبها كنمرٍ متحفز للوثوب، تعقد ذراعيها على صدرها وتقف وقفة الشهيدة. وفى التو واللحظة توقظ حركتها ووقفتها غريزته التمثيلية، فينسى غضبه أمام رغبته فى أن يدلل لها على أنه يفوقها براعة فى التمثيل أيضا. فيبقيها برهة معلقة، ثم فجأة تنفرج أساريره، ويضع يديه خلف ظهره فى برود وتحد، وينظر إليها من أعلى إلى أسفل عدة مرات، ثم يتناول نتفة من السعوط ويمسح أصابعه بعناية ويعيد منديله إلى مكانه. ومع مرور الوقت تضحى وقفتها البطولية مضحكة أكثر فأكثر...

نابليون : (فى النهاية) حسنا؟

السيدة : (مرتبكة، ولكنها مازالت محتفظة بذراعيها متشابكتين على صدرها بإصرار).

حسنا : ماذا أنت فاعل .

نابليون : أفسد عليك موقفك .

السيدة : أيها الوغد ! (تتخلى عن وقفتها . وتأتى إلى طرف الأريكة حيث تدير ظهرها إليها وتتكىء عليها مواجهة نابليون ويداها خلف ظهرها).

نابليون : آه ، هذا أفضل. والآن أصغى إلى. أنا ميال إليك. وأكثر من ذلك أقدر احترامك لى.

السيدة : أنت تقدر ما لا تحصل عليه، إذن.

نابليون : سأحصل على احترامك حالا. والآن أعيرينى انتباهك. افترضى أننى سألين إزاء الاحترام الجدير بأنوثتك وجمالك وبطولتك وكل صفاتك الأخرى! افترضى أنى قد سمحت لعاطفتى أن تحول بينى وبين استعمال قوتى العضلية لانتزاع تلك الأوراق التى تحملينها، والتى أريد وأعتزم الحصول عليها ! افترضى أننى وقد أضحت الغنيمة فى متناولى، تخاذلت ونكصت على أعقابى خاوى الوفاض. أو افترضى ما هو أدهى وأمر، غطيت ضعفى بالظهور أمامك بمظهر البطل الكريم وأعفيتك من العنف الذى كان يمكننى ممارسته

معك! أفلا كنت تشعرين نحوى بالاحتقار من أعماق طبيعتك الأنثوية. وهل كانت أية امرأة تتصرف بمثل هذا الغباء؟ حسنا، إن بانوپارت يستطيع أن يحمل نفسه على الوقوف موقف النساء، إذا لزم الأمر. أتفهمين ؟

(تنتصب السيدة واقفة دون أن تنطق بكلمة، وتخرج رزمة من الورق من صدرها. وللحظة تستشعر شعورا قويا بالرغبة فى أن تقذفها فى وجهه، ولكن تأدبها يحول بينها وبين شفاء غليلها بالانزلاق إلى مثل هذا العنف. فتسلمها إليه بأدب، فقط تشيح بوجهها. فإذا ما أخذها هرعت إلى الجانب الآخر من الغرفة، وتجلس مخفية وجهها بين كفيها).

نابليون : (متفرسا فى الأوراق) أها ! هذا حسن، هذا حسن (قبل فضها يلتفت إليها ويقول) معذرة (يراها تخفى وجهها بيديها) غاضبة منى جدا، إيه ؟ (يفض الرزمة التى كسر ختمها من قبل، ويضعها على المائدة ليفحص محتوياتها).

السيدة : (بهدوء، تنزل يديها فيبين أنها لا تبكى، بل فقط

مستغرقة فى التفكير) لا . لقد كنت على صواب. ولكننى آسفة من أجلك.

نابليون : (يتوقف وهو يلتقط أحد الأوراق من الرزمة) آسفة من أجلى! لماذا ؟

السيدة : سأراك تفقد شرفك .

نابليون : هم ! أليس ثمة أسوأ من ذلك . (يخرج الورقة).

السيدة : وسعادتك.

نابليون : السعادة ! السعادة أسقم شىء فى الوجود بالنسبة لى. هل كنت سأكون ما أنا الآن لو أبهت بالسعادة ؟ أهناك شىء آخر ؟

السيدة : لا شىء .

نابليون : حسنا.

السيدة : إلا أنك ستصبح محل سخرية مواطنيك.

نابليون : (على الفور) ماذا؟ (تتوقف يده التى تفتح الورقة المطوية رغما عنه. تنظر إليه السيدة نظرة غامضة فى صمت وهدوء. يلقى هو الخطاب وينفجر فى سيل من السباب) ماذا تعنين؟ ايه؟ هل عدت إلى ألاعيبك مرة أخرى؟ هل تعتقدين أننى لا أعرف ماذا تحتوى عليه

هذه الأوراق؟ سأخبرك. أولا، أخبار عن انسحاب بواليو. هناك أمران فى استطاعته، وليس أمام هذا الغبى المأفون إلا أن يسلك أحد سبيلين - ذلك الغبى المأفون - إما أن يحصر نفسه فى مانتوا أو يخل بحياد فينسيا باستيلائه على بشيرا. إنك إحدى جواسيس ذلك العجوز الأبله. لقد أدرك انكشافه أمامى، فأرسلك لتحولين دون وصول هذه الأخبار إلىَّ. وكأن ذلك يمكن أن ينقذه منى، الغبى العجوز! الأوراق الأخرى لا تعدو أن تكون خطاباتى الخاصة من باريس، وهذه لا تعنيك فى شىء.

السيدة : (بتحفز وبطريقة عملية). چنرال: دعنا نجرى قسمة عادلة. خذ المعلومات التى بعث بها إليك جواسيسك عن الجيش النمساوى، وأعطنى رسائل پاريس. إن هذا سيكفينى.

نابليون : (مبهور الأنفاس من العرض) قسمة عا .... (يشهق) يبدو لى، يا سيدتى، أنه قد بلغ بك الأمر إلى حد اعتبار رسائلى ملكا خاصا بك أحاول سلبك إياها.

السيدة : (بحماس) كلا، بشرفي أنا لا أطلب أى خطاب من خطاباتك: ولا كلمة مكتوبة منك أو إليك. تلك الرزمة تحتوى على خطاب مسروق: خطاب كتبته امرأة إلى رجل: رجل ليس زوجها: خطاب يعنى فضيحة وتشهيرا..

نابليون : رسالة غرام ؟

السيدة : (بمرارة) وماذا سوى رسالة غرام يمكن أن تثير مثل تلك الكراهية ؟

نابليون : ولماذا أرسل إلىَّ ذلك الخطاب ؟ لوضع الزوج فى قبضتى، إيه ؟

السيدة : كلا ، كلا ، إنه لا فائدة منه لك: أقسم لك إنه لن يكلفك شيئا أن تعطيه لى. لقد أرسل إليك بدافع من النكاية، فقط لجرح السيدة التى كتبته.

نابليون : إذن لماذا لم يرسل إلى زوجها بدلا منى؟

السيدة : (جد متحيرة) أوه ! (تغوص فى مقعدها) لا . لا أعرف (تخور قواها).

نابليون : آها ! لقد حسبت ذلك : أقصوصة حب لاسترداد الأوراق. أنا لا أتمالك نفسى من الإعجاب بك. بودى

أن أقوى على الكذب مثلك . إنه كان سيوفر عليَّ كثيرا من المتاعب.

السيدة : (تعصر يديها) أوه، كم بودى أن أكون قد سردت عليك كذبة ما. لكنت صدقتنى فالحقيقة هى الشىء الوحيد الذى لا يصدقه أحد.

نابليون : (فى غير ما تكلف) عظيم ! عظيم ! (يضع يده خلفه على المائدة ويرفع جسمه عليها) هيا: إنى كورسيكى أصيل فى حبى للأقاصيص. ولكننى أقدر منك على سردها إذا ما صرفت ذهنى إليها. إذ سئلت مرة أخرى عن السبب فى عدم إرسال خطاب مشين لسيدة إلى زوجها أجيبى ببساطة أن الزوج لن يقرأه. هل تتوقعين ، أيتها البلهاء، أن هناك رجلا ما يود أن يجبر أمام الرأى العام على التشهير بنفسه، وأن يدخل فى مبارزة، وأن يهدم بيته ، وأن يخدش مستقبله بفضيحة متى كان فى إمكانه أن يتفادى كل ذلك بالاعتناء بألا يعلم ؟

السيدة : (ثائرة) افترض أن تلك الرزمة احتوت على خطاب يتعلق بزوجتك؟

نابليون : (متضايقا، وتاركا المنضدة) أنت سليطة اللسان يا سيدتى.

السيدة : (بتواضع) عفوا. زوجة قيصر فوق الشبهات.

نابليون : (باستعلاء رصين) لقد ارتكبت هفوة. إنى أغفر لك. ولكن فى المستقبل لا تستبيحى لنفسك أن تدخلى أشخاصا حقيقيين فى حكاياتك.

السيدة : (متجاهلة فى أدب حديثا لا يعدو أن يكون فلتة من حسن الخلق). چنرال، يوجد حقيقة خطاب من امرأة هناك (مشيرة إلى الرزمة). أعطنى إياه.

نابليون : (باقتضاب وشراسة) لماذا ؟

السيدة : إنها صديقة قديمة لى، لقد كنا سويا فى المدرسة. وكتبت إلىَّ متوسلة أن أحول دون وقوع الخطاب بين يديك.

نابليون : لماذا أرسل إلى ؟

السيدة : لأنه يمس الرئيس باراس.

نابليون : (مقطبا، وقد أجفل بشكل واضح) باراس! (بأنفة) خذى حذرك يا سيدتى، الرئيس باراس هو صديقى الشخصى اللصيق.

السيدة : (تومىء برأسها فى رصانة) أجل. لقد أصبحتما صديقين عن طريق زوجتك.

نابليون : مرة أخرى! ألم أنهك عن الحديث عن زوجتى (تمضى فى التطلع إليه مستغربة غير آبهة بالتوبيخ. ويزداد قلق نابليون ويتخلى عن غطرسته التى ضاق بها هو نفسه ذرعا ثم يقول مرتابا خافضا صوته) من هى تلك المرأة التى تعطفين عليها كل هذا العطف ؟

السيدة : أوه، يا چنرال! كيف يمكننى أن أخبرك ؟

نابليون : (متضايقا، يشرع فى التجول مرة أخرى فى اضطراب غاضب). بلى، بلى تساند الواحدة الأخرى، إنكن جميعا سواء، أيتها النساء.

السيدة : (بترفع) إننا لسنا كلنا سواء، تماما مثلكم. هل تعتقد أننى لو أحببت رجلا آخر كنت أمضى فى التظاهر بأننى أحب زوجى أو كنت أكون خائفة من أن أخبره هو أو العالم كله ؟ ولكن هذه السيدة ليست من هذا النوع. إنها تحكم الرجال عن طريق خداعهم، وهم يحبون ذلك ويدعونها تحكمهم (تدير إليه ظهرها باحتقار).

نابليون : (غير ملتفت إليها) باراس ؟ باراس؟ (مهددا، وقد احتقن وجهه). احترسى، احترسى: هل تسمعين؟ إنك قد تشطين بعيدا جدا.

السيدة : (تدير وجهها إليه فى براءة) ماذا فى الأمر ؟

نابليون : إلى ماذا تهدفين ؟ من هذه المرأة ؟

السيدة : (مقابلة نظرته المنقبة الغاضبة بعدم اكتراث هادىء وهى تجلس ناظرة إليه) مخلوقة تافهة، حمقاء، متهوسة، ذات زوج بالغ الكفاءة والطموح ويزداد علمه بها يوما بعد يوم، يعلم أنها كذبت عليه عن سنها، وعن دخلها، وعن مركزها الاجتماعى، وعن كل شىء تكذب عليه تلك السيدة الحمقاء، ويعلم أنها عاجزة عن الإخلاص لأى مبدأ أو لأى شخص، ومع ذلك فإنه لا يتمالك نفسه من أن يحبها، ولا يتمالك رجولته من أن يستخدمها من أجل الحصول على ترقياته من باراس.

نابليون : (فى همسة خفيضة مفعمة بالغضب البارد) هذا انتقامك، أيتها القطة، لاضطرارك إلى إعطائى الرسائل.

السيدة : هراء ! أو هل تعنى أنك ذلك الصنف من الرجال ؟

نابليون : (حانقا يضغط يداه خلف ظهره ويقول وهو يسير منفعلا مبتعدا عن المدفأة) هذه المرأة ستفقدنى صوابى (موجها الكلام إليها) اغربى.

السيدة : (جالسة بلا حراك) ليس بدون ذلك الخطاب.

نابليون : اغربى، أقول لك . (سائرا من المدفأة إلى فناء الكرم ثم يعود إلى المنضدة) لن تحصلى على أى خطاب. أنا لا أميل إليك. أنت امرأة كريهة. وفى قبح الشيطان. ولا أقبل أن تضايقنى امرأة غريبة. اخرجى. (يدير ظهره إليها. فتسند خدها إلى كفها فى نشوة هادئة وتنفجر فى الضحك منه. يعود إلى الالتفات ساخرا منها فى غضب) ها ! ها ! ها ! من الذى يضحك ؟

السيدة : أنت ، يا چنرال ، لقد رأيت كثيرا من الرجال يغضبون ويتصرفون كالأطفال، ولكننى لم أر قط رجلا عظيما بحق يفعل ذلك من قبل.

نابليون : (بقسوة، قاذفا الكلام فى وجهها) هراء ! نفاق. نفاق! نفاق وقح.

السيدة : (تقفز واقفة وقد توهجت وجنتاها) أنت، سيىء جدا. احتفظ برسائلك. اقرأ قصة فضيحتك فيها، وسيفيدك

ذلك كـثـيـرا. إلى اللقـاء (تذهب بإباء إلى البـاب الداخلى).

نابليون : فضيحتى...! قفى. عودى. عودى. إنى آمرك. (تتجاهل بخيلاء لهجته العنيفة الجازمة. وتستمر فى طريقها إلى الباب فيندفع إليها ويمسك بها من ذراعها ويجذبها) والآن، ماذا تعنين؟ أفصحى. أفصحى. أقول لك وإلا .. (مـهددا إياها. تنظر إليـه فى تحـد ثابت). أيتها الشيطانة العنيدة، أيتها (يقذف بذراعيها بعيدا عنه) ألا يمكنك أن تجيبى على سؤالى بالحسنى؟

السيدة : (جد متضايقة من عنفه) لم تسألنى؟ لديك الإيضاح.

نابليون : أين ؟

السيدة : (مشيرة إلى الخطابات على المنضدة) هناك. ما عليك إلا أن تقـرأها. (يخطف الرزمـة من على المنضـدة، يتردد، وينظر إلى السيدة متشككا ثم يلقى بها ثانية).

نابليون : يبدو أنك قد نسيت قلقك على شرف صديقتك القديمة.

السيدة : لا أظن أنها تواجه أى خطر الآن. إنها لا تفهم زوجها بالمرة.

نابليون : أأقرأ الخطاب إذن ؟ (يمـد يده كما لو كـان سـيأخذ

الرزمة ثانيا، مسلطا نظره على السيدة).

السيدة : لا أرى كيف يمكنك أن تحرص على تجنب ذلك الآن. (يسحب يده بسرعة) أوه، لا تخف. ستجد فيه كثيرا من الأمور الشيقة.

نابليون : مثلا ؟

السيدة : مثلا ، مبارزة مع باراس، فضيحة عائلية، مستقبل يتقوض، وأشياء أخرى شتى.

نابليون : هم ! (ينظر إلى السيدة . ثم يتناول الرزمة ويتطلع إليها زاما شفتيه ووازنا إياها في يده. ينظر إلى السيدة مرة أخرى. ينقل الرزمة إلى يده اليسرى ويضعها خلف ظهره. رافعا يمناه ليحك مؤخرة رأسه في ذهابه إلى حافة فناء الكرم حيث يقف مليا متطلعا إلى أشجار الكرم مستغرقا في التفكير. ترقبه السيدة في صمت واستخفاف إلى حد ما . وفجأة يستدير ويقفل راجعا ثانيا وقد امتلأ قوة وحزما). إنى أقبل رجاءك، يا سيدتى. إن شجاعتك وعزمك يستحقان النجاح. خذى الخطابات التى كافحت من أجلها خير كفاح. وتذكرى مستقبلا أنك قد وجدت المغامر

الكورسيكى الفظ القبيح كريما مع المغلوب بعد المعركة كحزمه فى وجه العدو قبلها (يقدم إليها الرزمة).

السيدة : (دون أن تأخذها، تنظر إليه بجفاء). ماذا تعنى الآن، إنى لفى عجب؟ (يقذف بالرزمة إلى الأرض غاضبا). آها ! لقد أفسدت عليك ذلك الموقف،على ما أعتقد. (تنحنى له انحناءة لطيفة ساخرة).

نابليون : (يلتقط الرزمة من الأرض ثانية) هلا أخذت الخطابات ورحلت ؟

(متقدما ودافعا الرزمة إليها).

السيدة : (تفر حول المائدة) لا ، لا أريد خطاباتك.

نابليون : منذ عشر دقائق مضت لم يكن هناك ثمة شىء آخر يرضيك.

السيدة : (تحرص على إبقاء المائدة فاصلة بينهما). منذ عشر دقائق مضت لم تكن قد شتمتنى إلى أقصى حدود الاحتمال.

نابليون : (مبتلعا غضبه) إنى أعتذر.

السيدة : (ببرود) شكرا. (يقدم إليها الرزمة بأدب اضطرارى عبر المائدة، فتتراجع خطوة خارج متناول يده وتقول)

ولكن ألا تريد أن تعرف مواقع النمساويين؟

نابليون : لقد سبق أن أخبرتك أننى قادر على هزيمة أعدائى بلا حاجة إلى معاونة جواسيس ، يا سيدتى.

السيدة : والخطاب ؟ ألا تريد أن تقرأه ؟

نابليون : لقد قلت إنه ليس موجها إلىَّ وليس من عادتى أن أقرأ خطابات الناس الآخرين. (يعرض عليها الرزمة مرة أخرى).

السيدة : فى تلك الحالة لا يمكن أن يكون هناك اعتراض على احتفاظك به. كل ما أردته هو أن أمنعك من قراءته. (منشرحة) طاب مساؤك، يا چنرال (تستدير ببرود نحو الباب الداخلى).

نابليون : (غاضبا، ملقيا الرزمة على الأريكة) فلتمنحنى السماء الصبر ! (يتجه بعزم إلى الباب ويضع نفسه أمامه) أليس لديك أى إحساس بالخطر الذى يتهددك؟ أم أنك ممن لا ينشرحن إلا إذا ازرقت واسودت جثتهن من الضرب المبرح ؟

السيدة : أشكرك، يا چنرال. لا أشك فى أن الإحساس بآلام الضرب لذيذ جدا. ولكننى لا أوده. إنى أود فقط أن

أقفل عائدة إلى بيتى. هذا كل ما فى الأمر. لقد كنت شريرة بما فيه الكفاية لأن أسرق رسائلك، ولكنك استعدتها، وعفوت عنى. لأنك (مرددة بلطف عبارته) كريم مع المغلوب بعد المعركة كحزمك فى وجه العدو قبلها. ألا تقول لى إلى اللقاء . (تمد له يدها بلطف).

نابليون : (يرفض يدها بحركة تدل على الغضب العميق. ويفتح الباب لينادى بشدة) جوزيب ! (بصوت أعلى) جوزيب! (يقفل الباب بعنف، ويجىء إلى وسط الحجرة. تذهب السيدة إلى فناء الكرم لتناديه).

جوزيب : (يظهر عند الباب) لبيك يا صاحب العظمة؟

نابليون : أين الغبى؟

جوزيب : لقد تناول أكلة طيبة وفقا لتعليماتك، يا صاحب العظمة، وهو الآن يشرفنى بالمقامرة معى قتلا للوقت.

نابليون : ابعث به إلى ! أحضره هنا. وتعال معه (يهرع جوزيب خارجا بخفة وانطلاق. ويلتفت ناپليون إلى السيدة ويقول لها بلهجة حاسمة) لابد أن أجشمك عناء البقاء بضعة دقائق أخرى، يا سيدتى. (يقبل إلى الاريكة. وتحضر هى من الفناء على طول الجانب المواجه من

الحجرة إلى الدولاب الجانبى، وتقف عنده متكئة إليه، وعيناها ترقبان نابليون الذى يأخذ الرزمة من الأريكة ويضعها فى جيب الصدر بتأن وعناية ناظرا إليها فى هذه الأثناء وقد علا وجهه تعبير يوحى بأنها ستكتشف عن قريب معنى إجراءاته، ولن تعجبها. لا يتفوه أحدهما بكلمة إلى أن يحضر الملازم يتبعه جوزيب الذى يقف بتواضع فى الانتظار عند المائدة. أما الملازم فهو عارى الرأس بلا سيف ولا قفازين، وقد خف توتر أعصابه وانصلحت روحه المعنوية إثر وجبة الطعام. ويختار الجانب الذى وقفت فيه السيدة حيث ينتظر هادئا أن يبدأ نابليون الحديث).

نابليون : أيها الملازم .

الملازم : (متشجعا) نعم، يا سيدى الچنرال.

نابليون : لا يمكننى إقناع هذه السيدة بأن تعطينى كثيرا من المعلومات ، ولكن لا يمكن أن يكون هناك ثمة شك فى أن الرجل الذى خدعك بسلب ما عهد به إليك، هو، كما اعترفت لك، أخوها.

الملازم : (منتصرا) ألم أقل لك، يا چنرال، ألم أقل لك يا ...

نابليون : عليك أن تجد ذلك الرجل. أن شرفك فى خطر. كما أن مصير الحملة، ومستقبل فرنسا، وأوروبا، والإنسانية جمعاء قد يتوقف على المعلومات التى تتضمنها تلك البرقيات.

الملازم : نعم، إنى أفترض أنها حقا على جانب من الأهمية. (كما لو كان هذا لم يبد له من قبل).

نابليون : (بحيوية) إنها من الأهمية، يا سيد، بمكان إنك لو لم تستعدها فإنك ستجازى بتنزيل درجتك أمام فرقتك.

الملازم : هيو ! إن الفرقة ، يمكننى أن أخبرك، لن تستحب ذلك.

نابليون : أنا شخصيا آسف من أجلك. بودى أن أغطى المسألة لو أمكن. ولكننى سأسأل عن سبب عدم اعتدادى بالخطابات وسيكون علىّ أن أثبت للعالم أجمع أننى لم أتلقها قط ، بصرف النظر عما سيصيبك من جراء ذلك. إنى آسف، ولكنك ترى أنه ليس فى وسعى غير ذلك.

الملازم : (بلهجة مهذبة) أوه، لا تؤرق بالك إلى هذا الحد، يا جنرال، إنها حقا مكرمة منك. لا تهتم بما يحصل لى، سأجد لى مخرجا على أى حال. وسنهزم النمساويين

من أجلك، سواء أوجدت رسائل أو لم توجد رسائل، وأرجو ألا تصر على أن أقوم بمطاردة ذلك الرجل الآن ليس لدى أية فكرة عن المكان الذى أبحث فيه عنه.

جوزيب : (باهتمام) لقد نسيت، أيها الملازم ، أن معه جوادك .

الملازم : (مجفلا) لقد نسيت ذلك (مصمما) سأتعقبه يا جنرال، سأجد ذلك الجواد لو كان حيا فى أى مكان فى إيطاليا. ولن أنسى الرسائل، لا تخف أبدا. جوزيب: اذهب وأسرج إحدى جيادك الجربانة العجوز ريثما أحضر قبعتى وسيفى وبعض الأشياء. امش بسرعة. هيا. (صارخا فيه).

جوزيب : حالا، أيها الملازم، حالا (يختفى فى فناء الكرم، حيث يبدأ الضوء فى الاحمرار مع غروب الشمس).

الملازم : (يتلفت حوله فى طريقه إلى الباب الداخلى) على فكرة يا جنرال، هل أعطيتك سيفى أم لا ؟ أوه، لقد تذكرت الآن. (متبرما) لقد كان إلقاء القبض علىّ لا معنى له. لا يمكن للواحد أبدا أن يجد (يتمتم محدثا نفسه وهو خارج من الغرفة).

السيدة : (ولازالت إلى جوار البوفيه). ماذا يعنى كل هذا، يا جنرال ؟

نابليون : إنه لن يجد أخاك؟

السيدة : بالطبع لا . إنه لا وجود لمثل هذا الشخص .

نابليون : لا مراء فى أن الرسائل ستعد مفقودة.

السيدة : هراء ! إنها بداخل سترتك.

نابليون : أعتقد أنه سيكون صعباً عليك أن تثبتى هذه الواقعة الغريبة (تجفل السيدة، ويضيف هو مفخما مؤكدا) لقد فُقِدت تلك الأوراق.

السيدة : (قلقة، سائرة إلى ركن المائدة) ومستقبل ذلك الشاب التعس يروح ضحية ؟

نابليون : مستقبله ! إن ذلك الشخص لا يستأهل البارود الذى يردى به قتيلا. (يستدير باحتقار ويذهب إلى المدفأة حيث يقف موليا إليها ظهره).

السيدة : (برزانة) إنك قاس جدا. وما الرجال والنساء بالنسبة لك إلا أشياء تستعملها حتى ولو تحطموا أثناء الاستعمال.

نابليون : (ملتفتا إليها) من منا حطم ذلك الرجل، أنا أم أنت؟

من الذى خـدعـه وسلبـه الرسـائل؟ هلا فكرت فى مستقبله حينذاك ؟

السيدة : (وقد أنبها ضميرها) أوه، إننى لم أفكر قط فى ذلك. لقد كان إثما منى، ولكن لم يكن أمامى مفر من ذلك. هل كان هناك ! كيف كان يمكننى بغير ذلك أن أحصل على الأوراق؟ (متوسلة) چنرال، إنك ستنقذه من العار.

نابليون : (يضحك بمرارة) أنقذيه أنت، مادمت بهذه المهارة، لقد كنت أنت التى حطمتيه (بحدة وشراسة) إنى أكره الجندى الفاشل (يخرج مصمما إلى فناء الكرم. تقتفى أثره عدة خطوات بحركة توسلية إلا أنها تتوقف عندما يعود الملازم، وقد لبس قفازيه وقبعته، وامتشق حسامه متأهبا للطريق. وفى عبوره إلى الباب الخارجى تبتدره).

السيدة : أيها الملازم .

الملازم : (باهتمام) يجب ألا تؤخرينى، كما تعلمين. إنه الواجب، يا سيدتى إنه الواجب.

السيدة : (مستعطفة) أوه، يا سيدى، ماذا ستفعل بأخى المسكين.

الملازم : هل أنت جد شغوفة به ؟

السيدة : إننى أموت لو أصابه سوء. عليك أن تبقى عليه. (يهز الملازم رأسه مكتئبا). أجل، أجل، عليك. أنت ستبقى عليه، إنه لا يستأهل الموت. أصغ إلى لو أخبرتك أين تجده. لو قمت بوضعه بين يديك كأسير، لكى تسلمه بمعرفتك إلى الجنرال بونابارت، هل تعدنى بشرفك كضابط وكچنتلمان ألا تدخل معه فى مبارزة أو تعامله بقسوة بأى حال من الأحوال.

الملازم : ولكن افترضى أنه هاجمنى. إن معه مسدسيى.

السيدة : إنه جبان كبير.

الملازم : لا أشعر بأننى واثق من ذلك. إنه قادر على كل شىء.

السيدة : إذا هاجمك، أو قاومك بأية صورة، فإنى أحلك من وعدك.

الملازم : وعدى! إننى لا أقصد أن أعد بشىء . انظرى : أنت سيئة مثله، لقد استغفلتى خلال الجانب الحسن من طبيعتى. وماذا عن جوادى؟

السيدة : إنه جزء من الصفقة أن تسترد جوادك ومسدسيك.

الملازم : شرفا !

السيدة : شرفا ! (تمد إليه يدها).

الملازم : (يأخذها ويمسك بها) حسنا : سأكون وديعا كالحمل معه. إن أخته امرأة جميلة جدا (يحاول أن يقبلها).

السيدة : (تنفلت مبتعدة عنه). أو ، أيها الملازم . لقد نسيت أن مستقبلك في خطر. ومصير أوروبا - والإنسانية.

الملازم : أوه، لا تضايقيني بمصير الإنسانية (يتجه إليها). مجرد قبلة .

السيدة : (منسحبة حول المنضدة) ليس قبل أن تسترد شرفك كضابط. تذكر أنك لم تأسر أخي بعد.

الملازم : (ملاطفا) إنك ستخبرينى أين هو، ألن تفعلى ؟

السيدة : ليس علىّ إلا أن أبعث إليه بإشارة معينة، وسيكون هنا في ربع ساعة.

الملازم : إنه ليس بعيدا ، إذن.

السيدة : كلا ، إنه قريب جدا . انتظره هنا: عندما سيتلقى رسالتى سيسارع بالحضور ويسلم نفسه إليك. هل تفهم ؟

الملازم : (وكأن الأمر أصعب من أن يفهمه). حسنا ، إن المسألة معقدة قليلا. ولكننى أقدر أن أقول إن الأمور ستكون

على مايرام .

السيدة : والآن. بينما أنت فى الانتظار، ألا تظن أنه من المستحسن أن تتفاهم مع الجنرال ؟

الملازم : أوه، انظر. إن الأمر يبدأ فى التعقيد بشكل مخيف. أتفاهم معه على ماذا ؟

السيدة : اجعله يعدك بأى شىء تسأله إياه لقاء ذلك الشرط .

الملازم : هذه فكرة لا بأس بها. أشكرك.. أظن أننى سأحاول ذلك .

السيدة : افعل، وتذكر ، فوق كل شىء، لا تدعه يتبين كم أنت ذكى.

الملازم : مفهوم، حتى لا تأكل الغيرة قلبه.

السيدة : لا تقل له شيئا سوى إنك عازم على أسر أخى أو تهلك فى سبيل ذلك. إنه لن يصدقك. وعندئذ تقدم له أخى..

الملازم : (مقاطعا إياها وكأنه ملك زمام الخطة) ثم أضحك منه! أقول لك الحق، يالك من امرأة ذكية خفيفة الظل. (صائحا) جوزيب !

السيدة : ش، ولا كلمة لجوزيب عنى (تضع إصبعها على شفتيها. فيفعل هو المثل. وينظر كل منهما إلى الآخر

محذرا. ثم تبتسم له ابتسامة خلابة. وتبعث إليه بقبلة عبر الهواء. وتجرى خارجة من الباب الداخلى. فينفجر، متحمسا، فى عاصفة من الضحك المكتوم)

(يعود جوزيب من الباب الخارجى)

جوزيب : الجواد جاهز ، أيها الملازم.

الملازم : لقد عدلت عن السفر الآن. اذهب وابحث لى عن الجنرال وأخبره أننى أريد التحدث إليه.

جوزيب : (هازا رأسه) هذا لن يحصل، أيها الملازم.

الملازم : لم لا ؟

جوزيب : فى هذا العالم الشرير قد يبعث جنرال فى طلب ملازم، ولكن لا يحق أن يبعث ملازم فى طلب جنرال.

الملازم : أوه ، أتعتقد أنه لن يعجبه ذلك. حسنا، لعلك على حق، على الواحد منا أن يكون شديد الحذر فى المسائل التى من هذا القبيل الآن وقد أصبحنا جمهورية.

(يعود نابليون إلى الظهور، متقدما من فناء الكرم، مزررا صدر سترته وقد بدا شاحبا مهموما).

جوزيب : (غير منتبهه إلى اقتراب نابليون) هذا صحيح، أيها الملازم، هذا صحيح. إنكم جميعا الآن فى فرنسا مثل

أصحاب الخانات، عليكم أن تكونوا مؤدبين مع كل واحد.

نابليون : (واضعا يده على كتف جوزيب) وهذا يحطم كل قيمة للأدب، إيه ؟

الملازم : ذات الرجل الذى كنت أريد ! انظر، يا جنرال، افترض أننى أمسكت لك بذلك الرجل !

نابليون : (بلهجة جدية تهكمية) إنك لن تمسك به، يا صديقى.

الملازم : أها ! تظن ذلك. ولكنك سترى . فقط انتظر. هل ستسقط كل ما قلته من تنزيل درجتى فى حضرة فرقتى؟ لا لأنى آبه، أنت تعلم، وإنما لأن الفرقة لا تحب أن تضحك عليها الفرق الأخرى.

نابليون : (فى ومضة من المرح خلال كآبته) ماذا سنفعل بهذا الضابط، يا جوزيب؟ إن كل ما يقوله خطأ.

جوزيب : (ببديهة حاضرة) رقه چنرالا، يا صاحب العظمة، وعندئذ فإن كل ما يقوله يضحى صوابا.

الملازم : (ضاحكا بصوت مزعج) هاو - هاو. (يلقى بنفسه على الأريكة ليستمتع بالنكتة التى أعجبته).

نابليون : (ضاحكا، وقارصا أذن جوزيب) إنك لمغمور فى هذا

الخان يا جوزيب .

(يجلس وينصب جوزيب أمامه كما يفعل المدرس بتلميذ) هلا أخذتك معى وجعلت منك رجلا ؟

جوزيب : (يهز رأسه هزات متكررة وسريعة) لا ، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، طوال عمرى والناس يريدون أن يجعلوا منى رجلا. فعندما كنت صبيا، أراد قسيسنا الطيب أن يجعل منى رجلا بتعليمى القراءة والكتابة. ثم أراد عازف الأرغن فى ميليجنانو أن يجعل منى رجلا بتلقينى قراءة الموسيقى. ولقد كان من الجائز أن يجعل أومباشى التجنيد منى رجلا لو كانت قامتى أطول بضعة بوصات مما هى عليه. ولكن كان ذلك يعنى على الدوام دفعى إلى العمل، وأنا فى منتهى الكسل، حمدا للسماء ! ومن ثم علمت نفسى الطبخ وأصبحت صاحب خان، والآن أجعل الخدم يؤدون الأعمال، ولا يبقى لدى أنا من عمل سوى الثرثرة، وهو ما يناسبنى تماما.

نابليون : (يتطلع إليه مفكرا) أأنت قانع ؟

جوزيب : (بيقين منشرح) تماما، يا صاحب العظمة.

نابليون : وليس فى داخلك شيطان مفترس يطالبك أن تطعمه بالأعمال والانتصارات، وأن تحشو حلقه بها ليل نهار، ويجعلك تدفع فى سبيل عشر دقائق من الاستمتاع، من عرق عقلك وبدنك أسابيع من الكد الشاق، وهو فى نفس الوقت عبدك وطاغيتك، عبقريتك ومهلكك، يقدم لك تاجا فى يد وطوق العبودية فى الأخرى.. يبسط أمامك كل ممالك الأرض ويعرض عليك أن يجعلك سيدا عليها لقاء أن تصير خادما لها ! ألا يوجد شىء من هذا القبيل فيك ؟

جوزيب : لا شىء من هذا ! أوه، أؤكد لك، يا صاحب العظمة، أن شيطانى المفترس أسوأ من ذلك بكثير . إنه لا يعرض علىَّ أية تيجان أو ممالك، إنما هو يأمل أن يحصل على كل شىء بلا مقابل: سجق! عجة! عنب! جبن! نبيذ! ثلاث مرات يوميا، يا صاحب العظمة، ولا يرضى بأقل من ذلك.

الملازم : هيا ، دعك من هذا يا جوزيب، إنك تجعلنى أشعر بالجوع ثانية.

(ينحنى جوزيب معتذرا وينسحب من المحادثة).

نابليون : (يلتفت إلى الملازم بأدب تهكمى) أرجو ألا أكون قد جعلتك تشعر بالطموح.

الملازم : كلا بالمرة، أنا لا أطير عاليا. فضلا عن أننى أحسن على ما أنا عليه، الرجال أمثالى مرغوب فيهم فى الجيش الآن. الحقيقة، أن الثورة كانت على خير مايرام بالنسبة للمدنيين، ولكنها لا تؤتى أثرها فى الجيش. إنك تعلم طباع الجنود، يا چنرال : إنهم يفضلون أن يكون ضباطهم من أبناء العائلات العريقة. والضابط ذو الرتبة الصغيرة يجب أن يكون چنتلمان لأنه على احتكاك كبير بالجنود. أما الچنرال أو حتى الكولونيل فيمكن أن يكون أى نوع من الحثالات مادام يفهم وظيفته بالقدر الكافى. الملازم هو چنتلمان: أما الباقون فكيفما اتفق. وهل عرفت من الذى كسب معركة لودى؟ سأخبرك. إنه جوادى.

نابليون : (ناهضا) إن جنونك يحملك بعيدا جدا، يا سيد، خذ حذرك.

الملازم : أبدا بالمرة . أتتذكر نيران المدفعية الحامية عبر النهر: النمساويون يصبون عليك نيرانهم لمنعك من العبور،

وأنت تصب عليهم نيرانك لمنعهم من إشعال النار فى الكوبرى؟ هل لاحظت أين كنت أنا ؟

نابليون : معذرة. يبدو أننى كنت مشغولا فى تلك اللحظة.

جوزيب : (بإعجاب حماسى) يقولون إنك تركت صهوة جوادك وأطلقت المدافع الكبيرة بيديك، يا جنرال.

الملازم : لقد كان ذلك غلطة، لا يجب على ضابط أن يحط نفسه إلى مستوى جنوده أبدا. (نابليون ينظر إليه منذرا بالخطر، ويبدأ فى السير متنمرا جيئة وذهابا) ولكنك كنت ستظل تقذف النمساويين بالقنابل لو لم نكتشف، نحن الفرسان، المكان الضحل من النهر ونجتازه، ونقلب جيش بواليو العجوز من أجلك. إنك تعلم أنك لم تكن لتجسر على مهاجمة الجسر حتى رأيتنا على الضفة الأخرى. ومن ثم فإنى أقول إن مكتشف مخاضة النهر هو المنتصر الحقيقى فى معركة لودى. حسنا، من الذى اكتشفها؟ لقد كنت أول رجل عبر النهر. واعلم أنه كان جوادى الذى اكتشفها (بيقين، وهو ينهض عن الأريكة) ذلك الحصان هو الهازم الحقيقى للنمساويين.

نابليون : (ثائرا) أيها الغبى، إنى سأجعلك تعدم رميا

بالرصاص من أجل إضاعتك للرسائل. سأجعلك تُقذف من فوهة مدفع، لن يكون لغير ذلك من تأثير عليك (منكبا عليه) هل تسمع ؟ هل تفهم ؟

(يدخل ضابط فرنسى خلسة، ممسكا سيفه مغمدا)

الملازم : إذا لم آسره ، يا چنرال. تذكر إذا...

نابليون : إذا! أيها الجحش لا يوجد مثل هذا الرجل.

الضابط : (يخطو فجأة بينهما ولا يخطئ أحد عندما يتكلم فى أن صوته هو صوت السيدة الغريبة) أيها الملازم : أنا أسيرك (تقدم إليه سيفها).

(ينظر إليها نابليون لحظة مصعوقا، ثم يمسك برسغها ويجذبها بعنف نحوه، متفرسا فيها عن قرب غاضبا ليتثبت من شخصيتها، إذ إن عتمة الليل قد بدأت تزحف، ويحل فى فناء الكرم ضوء النجوم محل حمرة الغروب).

نابليون : ياه (يقذف بذراعها معبرا عن اشمئزازه، مديرا إليهم ظهره واضعا يده فى صدره وقد خفض جبينه، وارتبكت خطاه).

الملازم : (يأخذ السيف، فى نشوة المنتصر) لا يوجد مثل هذا الرجل ! ايه يا چنرال؟ (إلى السيدة) أقول : أين جوادى؟

السيدة : سليم عند بورجيتو فى انتظارك، أيها الملازم.

نابليون : (مستديرا إليهم) الرسائل ؟

السيدة : لا يمكنك أن تخمن. إنها فى أبعد مكان فى العالم توقعا. هل قابل أحد منكم أختى هنا؟

الملازم : نعم، إنها امرأة ظريفة جدا. إنها تشبهك جدا. ولكن بالطبع هى أحلى طلعة منك.

السيدة : (بغموض) حسنا، أتعلمون أنها ساحرة!

جوزيب : (فى هلع، راسما علامة الصليب) أوه، لا، لا، لا ليس من السلامة التفوه بمثل هذه الأشياء. ولا يمكننى قبولها فى دارى. يا صاحب العظمة.

الملازم : أجل، دعك من ذلك. أنت أسيرى، كما تعلم. لا شك أننى لا أؤمن بمثل هذه الخزعبلات، ولكن لازال هذا موضوعاً غير مناسب للتندر فيه.

السيدة : ولكن هذا أمر على غاية من الأهمية. إن أختى قد سحرت الجنرال (يبتعد جوزيب والملازم عن الچنرال) جنرال، افتح سترتك. إنك ستجد الخطابات فى صدرك (تضع يدها بسرعة على صدره) نعم، هاهى هناك، إنى أكاد أحس بها. ايه ؟ (تتطلع إلى وجهه ملاطفة وساخرة فى نفس الوقت) هل تسمح لى يا چنرال

(تفك أحد الأزرار كما لو كانت ستخلع سترته. ثم تتوقف حتى يأذن لها).

نابليون : (غير مصدق) مادمت مصرة.

السيدة : شكرا (تفتح سترته وتستخرج الرسائل) ها هى ! (ترى جوزيب الرسائل) انظر.

جوزيب : (يهرع إلى الباب الخارجى) لا، بحق السماء ! إنها مسحورة.

السيدة : (ملتفتة إلى الملازم) هاك، أيها الملازم، إنك لست خائفا منها.

الملازم : (متراجعا) ابق بعيدا. (ممسكا بقبضة سيفه) ابق بعيدا، أقول لك.

السيدة : (إلى نابليون) إنها تخصك، يا چنرال. خذها.

جوزيب : لا تلمسها، يا صاحب العظمة. لا شأن لك بها.

الملازم : كن حذرا، يا چنرال، احترس.

جوزيب : أحرقها، وأحرق الساحرة أيضا.

السيدة : (إلى نابليون) هل أحرقها؟

نابليون : (مفكرا) نعم، أحرقها يا جوزيب، اذهب وأحضر لنا مشعلا.

جوزيب : (مرتعدا ومتخبطا) هل تعنى أن أذهب؟ وحدى فى

الظلام! وهناك ساحرة فى البيت ؟

نابليـون : يالك من جبـان ! (إلى الملازم) أرجـوك اذهب أيهـا الملازم .

الملازم : (محتجا) أوه، أقول، يا جنرال! لا، انظر إنك تعلم . لا أحد يجسر على أن يقول إننى جبان بعد لودى. ولكن أن يطلب منى الذهاب بنفسى فى الظلام بدون قنديل بعد هذا الحديث المخيف لهو بعض الشىء كثير. هلا رغبت فى أن تفعل ذلك بنفسك؟

نابليون : (منفعلا) أنت ترفض إطاعة أمرى ؟

الملازم : (بإصرار) نعم، أرفض. إنه طلب غير معقول. ولكنى سأخبرك ماذا سأفعل. إذا ذهب جوزيب سأذهب معه وأحميه.

نابليون : (لجوزيب) هاك! أيرضيك ذلك؟ اغربا كلاكما.

جوزيب : (بتواضع، مرتعش الشفتين) س - سمعا وطاعة، يا صاحب العظمة، (يتقدم بوجل إلى الباب الداخلى) فلتحمنى السماء (إلى الملازم) من بعدك أيها الملازم.

الملازم : يستحسن أن تخرج أنت أولا. أنا لا أعرف الطريق.

جوزيب : إنك لن تضله. فضلا (متوسلا، واضعا يده على ذراع الملازم) عن أننى لست سوى صاحب خان مسكين،

أما أنت فرجل من عائلة.

الملازم : ذلك يعنى شيئا. هيا.. لست فى حاجة إلى أن تكون فى مثل هذا الرعب. خذ ذراعى. (يفعل جوزيب ذلك) هذا هو الطريق.

(يخرجان كل منهما ذراعه فى ذراع الآخر).

(الليل الآن وضاء النجوم. تلقى السيدة الرزمة على المنضدة وتجلس مسترخية على الأريكة مستمتعة بالإحساس بالتحرر من ملابس النساء).

السيدة : حسنا، يا چنرال.. لقد هزمتك.

نابليون : (متجولا فى الحجرة) إنى أتهمك بسوء الأدب، وانعدام الأنوثة. هل يناسبك ذلك الرداء ؟

السيدة : يبدو لى أن الأمر كذلك أيضا بالنسبة لردائك.

نابليون : هراء ! إنى أحمر خجلا من أجلك.

السيدة : (ببساطة) نعم، إن الجنود يحمرون خجلا بسهولة. (يدمدم وتبتعد. تنظر إليه بخبث، وازنة رزمة الرسائل فى يدها) هلا رغبت فى قراءة هذه قبل أن تحرق، يا جنرال؟ لابد أنك تموت فضولا. ألق نظرة (تلقى الرزمة على المنضدة وتشيح بوجهها عنها) لن أنظر إليك.

نابليون : لا أشعر بأى فضول، يا سيدتى، ولكن لما كان من

الواضح أنك تتحرقين أنت شوقا إلى قراءتها فإنى سأتركك تفعلين ذلك.

السيدة : أوه، لقد قرأتها من قبل.

نابليون : (مجفلا) ماذا !

السيدة : لقد كان أول شيء فعلته بعد امتطائى جواد الملازم المسكين أنى قرأتها وهكذا ترى أننى أعلم ما فيها، أما أنت فلا.

نابليون : عفوا، لقد قرأتها عندما كنت خارجا بفناء الكرم منذ عشر دقائق خلت.

السيدة : أوه ! (قافزة من مكانها) أوه، يا چنرال.. إننى لم أهزمك بعد كل ذلك. إننى أعجب بك.(يضحك ويربت على خدها) هذه المرة، بحق وصدق وبلا خجل أعرب لك عن ولائى. (تقبل يده).

نابليون : (يسحبها بسرعة) لا تفعلى ذلك، كفى شعوذة.

السيدة : أريد أن أقول لك شيئا، فقط قد تسىء فهمه.

نابليون : وهل يمنعك ذلك ؟

السيدة : حسنا، هاك ما أريد قوله. إنى أعبد الرجل الذى لا يخشى أن يكون وضيعا وأنانيا.

نابليون : (بإباء) لست وضيعا ولا أنانيا.

السيدة : أوه، إنك لا تقدر نفسك حق التقدير. فضلا عن أننى لا أقصد حقا الوضاعة والأنانية.

نابليون : أشكرك. لقد حسبت أنك ربما تعنين ذلك.

السيدة : حسنا، لقد عنيت ذلك بالطبع. ولكن الذى أقصده بالضبط هو تلك البساطة التامة التى فيك.

نابليون : هذا أفضل.

السيدة : أنك لم ترد قراءة الخطابات، ومع ذلك فقد كنت متلهفا إلى معرفة ماذا بها. لذلك فقد ذهبت إلى الفناء وقرأتها بمنأى عن الأنظار، ثم عدت وتظاهرت بأنك لم تقرأها. هذا هو أحقر ما فعله رجل على ما أعلم، ولكنه وفى بغرضك ولم يداخلك أدنى خوف أو خجل من فعله.

نابليون : (بفظاظة) من أين التقطت كل هذه القباحات؟ (باحتقار مؤكد) أهذه أنت ؟ لقد حسبتك سيدة محترمة: ارستقراطية. هل كان جدك من أصحاب الحوانيت من فضلك ؟

السيدة : كلا، لقد كان إنجليزيا.

نابليون : هذا يفسر الأمر. الإنجليز قوم من أصحاب الحوانيت. الآن أفهم لماذا غلبتينى.

السيدة : أوه، إننى لم أغلبك. وأنا لست إنجليزية .

نابليون : أجل، أنت. إنجليزية صميمة. أصغى إلى. سأشرح لك من هم الإنجليز.

السيدة : (بتشوق) هيا (تجلس على الأريكة بروح من الترقب والاستمتاع الذهنى. وتهيئ نفسها للإنصات إليه. يتأهب نابليون للرواية، وقد سيطر على مستمعته. يتمهل قليلا قبل أن يبدأ، حتى يركز انتباهها. العتمة المحيطة به تكاد تحجب هيئته.، ولكن صوته يخترق الظلمة فى قوة مهولة).

نابليون : هناك ثلاث طبقات من الناس فى العالم: الطبقة الدنيا، والطبقة الوسطى، والطبقة العليا. ويتفق أفراد الطبقة العليا والطبقة الدنيا فى شىء واحد، أنهم عديمو القيم والمبادئ. أفراد الطبقة الدنيا لا يرقون إلى مستواها وأفراد الطبقة العليا يستعلون عليها. وأنا لا أخاف أحدا من أفراد هاتين الطبقتين، لأن الأوليين عديمو المبادئ بجهل، ولذلك فهم يجعلون منى معبودهم. فى حين أن الآخرين هم عديمو المبادئ بلا عزيمة، لذلك فهم يخرون أمام إرادتى. انظرى إنى سأشق طريقى بفضل دهماء أوروبا وارستقراطييها، كما يشق

المحـراث أرض الحـقل. ولكن الخطر يكمن فى أبناء الطبـقـة الوسطى. إذ لديهم المعـرفـة والعـزيمـة على السـواء. بيد أنـهم لا يخلون بدورهـم من نقطة ضـعف، إنهم مـتـخـمـون بالمبـادىء، وأيديهم وأرجلهم مكبلة بفضائلهم ووقارهم.

السيدة : إذن فستـهزم الإنجليز، فـأصحاب الحوانيت من أهل الطبقة المتوسطة.

نابليون : كلا، لأن الانجليز قوم على حدة. فليس ثمـة إنجليزى أدنى من المبادىء حتى لا تكون له مبادىء. وليس ثمـة انجليـزى أعلى منهـا بالقـدر الذى يتـحـرر به من عبوديتـها. ولكن كل انجليزى يولد وفيـه نوع من قوة عمل المعـجزات تصنـع منه سيـد العـالم. وهو ينتظر بصبر إلى أن يدخل فى روعه - لا أحد يعرف كيف - اعتقـاد عارم بأن من واجبه الأخـلاقى والدينى أن يهزم أولئك الذين يمـتلكون الشـىء الذى يتلـهف إليـه. وبعـد ذلك يضـحى لا يقـاوم. وكالارستقراطى فإنه يفعل مـا يحلو له ويخطف مـا يطمـع فيـه. وكصـاحب الحـانوت فإنه يتعقب مرامه بكد ومثابرة ينبعان من إيمان دينى

قوى وإحساس عميق بالمسئولية الأخلاقية. وهو لا يكون خاسرا لأى موقف أخلاقى فعال. وكبطل الحرية والاستقلال الأهلى الكبير يغزو ويخضع نصف العالم ويسمى ذلك تعميرا. وعندما يريد سوقا جديدة لبضاعة مانشستر البائرة، فإنه يرسل مبشرا ليعلم أهل البلد بشارة السلام. ويقتل أهل البلد المبشر، فيهب مدججا بالسلاح لحماية المسيحية، ويحارب من أجلها ويغزو من أجلها، ويستولى على السوق كمكافأة من السماء. وفى سبيل الدفاع عن شواطىء جزيرته يضع قسا على ظهر سفينته ويثبت علما رسمت عليه علامة الصليب فى قمة صاريته المجيدة، ويبحر إلى أقاصى الأرض، مغرقا، حارقاً، مدمراً كل من نازعه سيادة البحار. وهو يفاخر بأن الرقيق الذى تطأ قدمه أرضا بريطانية يضحى حرا ويبيع ابن فقيره فى سن السادسة من عمره ليشتغل تحت وطأة السوط فى مصانعه ست عشرة ساعة فى اليوم. وهو يقوم بثورتين ثم يعلن الحرب على ثورتنا باسم القانون والنظام. ليس ثمة ما هو جد حسن أو جد سيىء لا يفعله الإنجليز، ولكنك لن تجدى أبدا إنجليزيا واحدا

على خطأ. إنه يفعل كل شىء عن مبادىء. فهو يقاتلك باسم مبادئ الوطنية، ويسرقك باسم مبادىء التجارة، ويستعبدك باسم مبادىء الإمبراطورية.. وهو يساند الملكية باسم المبادىء الملكية ويقطع عنق ملكه باسم المبادىء الجمهورية. إن شعاره دائما هو الواجب، ولكنه لا ينسى أن الأمة التى تسمح لواجبها أن يتعارض مع مصالحها هى أمة ضائعة. إنه...

السيدة : و - و- و - و - و - وه! أرجوك لحظة واحدة. أود أن أعرف كيف إذن اعتبرتنى إنجليزية.

نابليون : (متخليا عن منهجه البلاغى) ذلك واضح بما فيه الكفاية. لقد أردت بعض الخطابات التى تخصنى. فأنفقت الصباح فى سرقتها.. أجل، سرقتها، كقطاع الطرق. ثم أمضيت بعد الظهيرة تضللينني مدخلة فى الروع أننى أنا الذى أردت سرقة رسائلك، معللة ذلك بوضاعتى وأنانيتى من ناحية، وبطيبتك وإخلاصك وتضحيتك من ناحية أخرى. وهذه هى الطبيعة الإنجليزية.

السيدة : هراء، أنا واثقة من أننى لست إنجليزية أبدا. فالإنجليز قوم جد أغبياء.

نابليون : نعم جد أغبياء ليعرفوا فى بعض الأحيان أنهم قد هزموا. ولكننى أسلم بأن عقلك ليس إنجليزيا. أنت ترين، أنه بالرغم من أن جدك كان إنجليزيا فإن جدتك كانت – ماذا ؟ فرنسية ؟

السيدة : أوه ، كلا ، أيرلندية.

نابليون : (بسرعة) أيرلندية ! (مفكرا) أجل، لقد نسيت الإيرلنديين. جيش إنجليزى يقوده چنرال أيرلندى، هذا يدانى جيشا فرنسيا يقوده چنرال ايطالى (يتمهل ويضيف بلهجة اختلطت فيها الدعابة بالكآبة) على أى الأحوال فقد هزمتينى، وما يهزم المرء أولا يهزمه آخرا!. (يذهب متأملا إلى الشرفة التى يغمرها ضوء القمر ويتطلع إلى السماء).

(تتسلل خلفه. وتغامر بوضع يدها على كتفه، وقد غلبها جمال الليل، وشجعها ظلامه).

السيدة : (برقة) إلى أى شىء تتطلع ؟

نابليون : (مشيرا إلى أعلى) إلى نجمى.

السيدة : هل تؤمن بذلك ؟

نابليون : نعم.

(يتطلعان إلى النجم برهة، وقد اتكأت بعض الشىء

إلى كتفه).

السيدة : هل تعلم أن الإنجليز يقولون إن نجم الرجل لا يكمل إلا إذا عقد بربطة ساق امرأة ؟

نابليون : (وقد استثير يبعدها عنه بقوة ويعود إلى داخل الغرفة) باه ! المنافقون! لو صدر مثل هذا القول عن الفرنسيين لادعوا التقوى ولرفعوا أيديهم إلى السماء فى ذعر. (يذهب إلى الباب الداخلى ويفتحه على مصراعيه صائحا) هالو! جوزيب! أين ذلك المشعل، أيها الرجل؟ (يأتى بين المنضدة والدولاب الجانبى وينقل الكرسى الثانى إلى المنضدة بجوار كرسيه) لازال علينا أن نحرق الخطاب. (يتناول الرزمة).

(يعود جوزيب، ممتقعا ولازال يرتعد، حاملا فى إحدى يديه شمعدانا ذا شمعتين مضيئتين وفى الأخرى صينية عريضة لجمع بقايا الأوراق بعد حرقها، وعليها مقبض).

جوزيب : (بتدين، أثناء وضعه الشمعدان على المنضدة) يا صاحب العظمة، إلى أى شيء كنتما تتطلعان منذ برهة؟ هناك فى الخارج! (يشير خلفه إلى فناء الكرم

ولكنه يخاف أن يلتفت إلى الوراء).

نابليون : (يفك الرزمة) وماذا يعنيك ذلك ؟

جوزيب : لأن الساحرة قد رحلت، اختفت، ولم يرها أحد وهى خارجة.

السيدة : (تقبل عليه من الخلف من الفناء) لقد كنا نرقبها ممتطية عصا مكنستك صاعدة إلى القمر، يا جوزيب. إنك لن تراها مرة أخرى.

جوزيب : أيها المسيح بن مريم. (يرسم علامة الصليب ويهرع خارجا).

نابليون : (ملقيا الخطابات فى كومة على المنضدة) والآن ! (يجلس إلى المائدة على الكرسى الذى وضعه منذ هنيهة).

السيدة : أجل، ولكنك تعلم أن الخطاب معك فى جيبك (يبتسم، ويخرج خطابا من جيبه ويقذف به على قمة الكومة. تأخذه السيدة وتنظر إليه قائلة) الخاص بزوجة قيصر.

نابليون : زوجة قيصر فوق الشبهات . أحرقيه.

السيدة : (تمسك الخطاب بالمقبض وتدفع به إلى نيران الشموع

لتحرقه) إنى أتساءل عما لو كانت زوجة القيصر فوق الشبهات فى لحظتنا هذه.

نابليون : (مرددا ما تقوله بغير وعى، وقد أسند مرفقيه إلى المائدة وخديه على يديه، متأملا الخطاب). إنى أتساءل!

(تضع السيدة الغريبة الخطاب مشتعلا على الصينية. وتجلس إلى جوار نابليون فى نفس وضعه، واضعة مرفقيها على المائدة وخديها إلى يديها، وترقب الخطاب وهو يشتعل محترقا. وعندما تلتهمه النيران يديران أنظارهما وتلتقى عيونهما. تسدل الستار ببطء الى أن تحجبهما).

الفهرس

صدر من آفاق عالمية

١- تنبـــــؤات

شعر : بيفر /زاجراجن

ترجمة : د. يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢- اعتراف منتصف الليل

رواية : چورچ ديهامل

تعريب : د. شكرى عياد

اغسطس ٢٠٠١

٣- الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د. عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

٤- بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د. حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥- شـــراك القـــدر

مسرحية : انطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د. طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦- الأرض الخراب وقصائد أخرى

شـــعر : ت . س. اليوت

ترجمة : د. لويس عوض

تقديـــم : د. ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧- فى البحث عن ڤاليرى

تأليف : لـــــيج مايكـــــلـــز

ترجمـــة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

٨- زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتيـــر

ترجمـــة : د. طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩- قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز

ترجمـــة : نانسي ســـمير

مارس ٢٠٠٢

١٠- عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)

تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة

أبريل ٢٠٠٢

١١- الحب والأسى (مسرحية صينية)

تـــأليف :(باى فنجكسى)

ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه

مايو ٢٠٠٢

١٢- ذلك العالم المدهش

(حوارات مع كتاب عالميين)

ترجمة وتقديم : حسين عيد

يونيو ٢٠٠٢

١٣- شعر السبعينيات فى إسبانيا(دراسة ومختارات مترجمة)

د. حامد أبو أحمد

يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)

تأليف : نيميتشاندرا جين

ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور

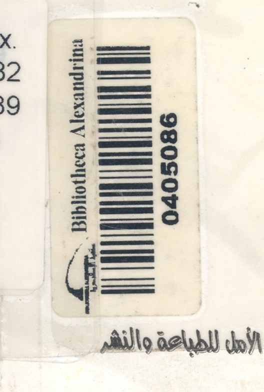
مراجعة : أ. د. منى أبو سنة

أغسطس ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ١٦٤٥٦/ ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر

" أربع مسرحيات اختارها الدكتور نعيم عطية وترجمها بلغة عربية مبينة، استطاعت أن تحافظ على قوة الأفكار وتلقائية الحوار والبناء الدرامى الذى يؤكد قيمتها كنصوص مسرحية خالدة فى تاريخ ذلك الفن الجميل بوجه عام، وفى إبداع استرندبرج تشيخوف وميشيل دى جيلدرود وبرناردو شو على نحو خاص "



الأمل للطباعة والنشر

الثمن : جنيه واحد